الدكتور محمد باقر حجتي

ابليس

في القرآن والحديث

دار المجتبى
بيروت - لبنان

إبليس

في القرآن والحديث

الطبعة الأولى

١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

دار المجتبى

للطباعة والنشر والتوزيع

حارة حريك - بيروت - لبنان - فاكس: ٢٥٨٤٨٠/٤٦/٢٥٧.

ابليس Diable

لفظة إبليس:

يـرى عدد من علمـاء اللغة أن «إبليس» لفـظة أعجمية معـرَّبـة عْن اللفـظة اليونانية «ديـابولـوس Diabolos» ، ويقـولـون: إن كلمـة Diable الفرنسية وكلمة Devil الإنكليزية مأخوذتان من ذلك الجذر اليونـاني . كمـا أن مؤلفي معاجم اللغـة العـربيـة وعـدداً من المفسـرين يـرجِّحـون أعجميتها ، أو أنها من الألفاظ الدخيلة على اللغة العربية[١] .

ويقـولون إن لفـظة «ديابـولوس» تعني في اللغـة اليونـانية: النمّـام والمفتـري[٢] .

بينمـا تـرى فئـة أخـرى من علمـاء اللغـة والمفسـرين ، أن لفظة «إبليس» عربية مشتقة من الإبلاس ، ومعناها: اليأس ، الضـلال ، الـدهشـة ، السكـوت ، الحـزن ، و. . . ويـوردون على ادعـائهم هـذا

(١) انظر: القامـوس المحيط: ١/٣١٣ ـ لسان العـرب: ١/٢٥٦ ـ دائرة المعـارف للبستاني: ١/٣٣٧ـ روح المعاني: ١/٢٢٩ ـ وتفاسير أخـرى ـ في ذيل تفسيـر الآية: ٣٤ من سورة البقرة .

(٢) لسـان العرب ـ المصـطلحـات العلميـة: ٤/٦٩ ـ دائـرة المعـارف للبستـاني: ١/٣٣٧ ـ دانشنامه إيران وإسلام: ٢/٣٧٨ ـ أعلام القرآن: ٧٧ .

شـواهد مختلفـة . فإبليس يئس من رحمـة الله ، وفي النهايـة تـاه بسبب كبريائـه واعتراهُ الخـوفُ والحزن والصمت. قـال تعالى : ﴿ ويـوم تقومُ الساعةُ يُبْلِسُ المجرمون ﴾[1] .

كمـا ورد ذكره في الحـديث .

«أعـوذ بـك من شرِّ مـا يبلسُ إبليسُ وجنودُه» .

«ألم ترَ الجنَّ وإبلاسها ؟» .

وكثيـرة هي الأحـاديث التي تـدل على أن اسم إبليس مشتق من الإبـلاس . كما أن كتّـاب اللغة الـذين يرجحّـون اشتقاقهـا من العـربيـة كثيرون ، ويؤيدون ما ذهبوا إليه بشواهد عديدة[2] .

ومـع أن العلماء الـذين يعدّون لفـظة «إبليس» عربيـة ، يعتبرونهـا ممنوعة من الصرف ويقولـون: إن سبب عدم انصـرافها ربمّـا يرجـع إلى استثقال حركـة الجر في آخـرها . وإضـافة إلى ذلـك ، فإن هـذه اللفظة «إبليس» ليس لهـا نظيـر في العربيـة ، ولم يصـدف أن تسمّى بهـا أحـد طوال الأزمنة الماضية ؛ وهذا ما دفع العرب إلى اعتبارها شبيهة بالأسمـاء الأعجمية ، واستخدموها بصيغة ما لا ينصرف[3] .

وقـد ورد ذكر لفـظة إبليس مفردةً في القـرآن الكريم إحـدى عشرة مرةً ، تسعة مواضع منها متعلقة باستكبار إبليس وإبـائه من السجـود لآدم عليه السلام :

---

(١) سورة الروم الآية: (١٢) .

(٢) انـظر مثـالاً على ذلـك: القـامـوس المحيط: ١/٣١٣ ـ مجمـع البحـرين: ٤/٥٤ ـ اللسـان: ١/٢٥٦ ـ معاني الأخبـار: ١٣٨ ـ مجمع البيـان: ١/٨١ ـ البحار: ٦٠/٣٠٨ ـ الإتقان: ٤/٨٢ ـ سفينة البحار: ١/٢٩٩ .

(٣) انظر روح المعاني: ١/٢٢٩ .

١ ـ ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبىٰ واستكبر وكان من الكافرين﴾[١] .

٢ ـ ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين﴾[٢] .

٣ ـ و٤ ـ ﴿إلا إبليس أبىٰ أن يكون مع الساجدين . قال يا إبليس مالك ألَّا تكون مع الساجدين﴾[٣] .

٥ ـ ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلَّا إبليس قال ءَأسجد لمن خلقت طيناً﴾[٤] .

٦ ـ ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلَّا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدوٌّ بئس للظالمين بدلاً﴾[٥] .

٧ ـ ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبىٰ﴾[٦] .

٨ ـ و٩ ـ ﴿إلَّا إبليس استكبر وكان من الكافرين * قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديَّ أستكبرتَ أم كنت من العالين﴾[٧] .

في حين أن الموضعين الآخرين:

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٣٤ .
(٢) سورة الاعراف ، الآية: ١١ .
(٣) سورة الحجر الآية ٣١ والآية ٣٢ .
(٤) سورة الاسراء ، الآية: ٦١ .
(٥) سورة الكهف ، الآية: ٥٠ .
(٦) سورة طه ، الآية: ١١٦ .
(٧) سورة ص ، الآية: ٧٤ والآية: ٧٥ .

١٠ ـ ﴿وجنودُ إبليس أجمعون﴾[١] .

١١ ـ ﴿ولقد صدَّق عليهم إبليسُ ظنهُ فاتبعوه إلاَّ فريقاً من المؤمنين﴾[٢] . ليس لمعانيهما علاقة بهذا الأمر .

كما ورد اسم إبليس في نهج البلاغة إحدى عشر مرة ـ كعددها في القرآن[٣] .

ولم ترد كلمة «إبليس» بصيغة الجمع في القرآن الكريم مطلقاً ، إلا أن الأخبار والأحاديث وسائر الكتب استخدمتها بصيغة الجمع «أبالسَة»[٤] .

يقول المبيدي : « . . ومعنى إبليس : اليائس ، يعني : أبلس من رحمة الله» وقبل أن يشتهر بهذا الإسم كان يدعى «عزازيل» . وقالوا : الحارث ، وكنيته «أبو كُردوس»[٥] . .

إن كلمة «أبالسة» جمع «إبليس» ومعناها «الشياطين» . ودعاه الكفعمي بأبي الجن وقال : للجن طائفة ذكور وطائفة إناث ، وهم يتوالدون ويموتون . ويذكر أن الأبالسة هم الشياطين ولا ينقسمون إلى ذكور وإناث ، ولايتناسلون ، ولا يموتون ، وهم كإبليس مخلَّدون في الدنيا ، في حين أن « الجانّ » أبو الأجنَّة .

يعتقد بعضهم أن «الجن» مُسخ إلى «جان : ثعبان» ، كما أن «الإنس» مُسخوا إلى قردة وخنازير . ولقد خُلق إبليس والشياطين والأجنة قبل خلق آدم بدليل قوله تعالى : ﴿ . . أفتتخذونه وذُريتَه أولياءَ

---

(١) سورة الشعراء ، الآية ٩٥ .

(٢) سورة سبأ ، الآية : ٢٠ .

(٣) الكاشف : ٤٩ .

(٤) انظر : مصباح المتهجد : ٣٤٠ و٣٤١ ـ البحار : ٦٠ ، ٢٥٧ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ .

(٥) كشف الاسرار : ١/١٤٥ .

من دوني . . ﴾[1] .

كما أن «جنود إبليس» وردت في القرآن الكريم ، وفُسرت بأنهم نسله وأبناؤه[2] .

إبليس في كتب الأديان الأخرى:

وردت لفظة إبليس بصفة الجمع في الإنجيل في مواضع عدة ، نذكر فيما يلي مصادرنا: ففي رسالة بولس الأولى إلى تيموتاوس[3] ، ورسالته الثانية[4] ، والرسالة نفسها إلى تيتوس[5] .

وقد وردت كلمة «إبليس» في الأصل اليوناني مجموعة ، متضمنة المعنى الوصفي للّفظ . كما جاء ذكر إبليس في الإنجيل في مواضع أخرى وكذلك في بعض الرسائل: بصفة شيطان ، والمذكور ، و«يهوذا» في إنجيل يوحنّا[6] ، و«بطرس» في إنجيل متّى[7] ، وسبب ذلك أن «يهوذا» ـ لمدة طويلة جداً ـ وبطرس ـ لمدة قصيرة نسبياً ـ كانا يقومان بأعمال تشبه أعمال إبليس[8] .

---

(١) سورة الكهف ، الآية: ٥٠ .

(٢) مجمع البحرين: ٢/٥٤ و٥٥ ـ مجمع البيان: ١/٨٢ ـ التبيان: ١/٢د١ والكافي (الأصول) الحديث: ١٥١٠ .

(٣) الإصحاح ٣ ، عدد ١٥ .

(٤) الاصحاح ٢ ، عدد ٣ .

(٥) الاصحاح ٢ عدد ٣ .

(٦) الاصحاح ٦ ، عدد ٧٠ .

(٧) الاصحاح ١٦ ، عدد ٢٣ .

(٧) الاصحاح ١٦ ، عدد ٢٣ .

(٨) دائرة معارف البستاني: ١/٣٣٧ و٣٣٨ ـ أعلام القرآن: ٧٨ و٧٩ .

إبليس في ثقافة اليهود والنصارى واليزيديين:

كنا ذكرنا سابقاً . أن «إبليس» لفظة يونانية الأصل ، مهمته إيقاع الخلاف والخصومة بين الله والإنسان . فهو في نظر النصارى يقود الإنسان نحو طريق الطغيان ضد الله . وقد أفدنا من الحديث الذي أجراه إبليس مع حواء ؛ وهو ما جاء في الإصحاح الثالث من سفر التكوين ، فقد ذكر أن إبليس دخل في جوف الثعبان ، وراح يخاطب حواء كذباً ومَيناً ، ويحثّها على تناول ثمار الشجرة التي نهاهما الله عنها ، وافترى عليها فقال: «لقد ظلمك الله ، إنه لا يهتم إلا بمصالحه ورغباته ، ولا يعبأ بمصالح مخلوقاته ؛ ولهذا حرمكما من أكل ثمار شجرة معرفة الخير والشر . وقال إبليس بلسان الثعبان: لن تموتا إن أنتما (آدم وحواء) تناولتما هذه الثمرة ، وستبقيان خالدين في الجنة . والله يعلم أنه يوم تأكلان منها تنفتح أعينكما [وتزداد قوتكما وتتوسع] وتكونان كالله عارفين الخيرَ والشرَّ»(١) .

وإبليس في نظر اليهود والنصارى يتضمن معنى آخر ، إنه روح عمدة الشر ، فقد جاء في تعاليم آباء الكنيسة: إبليس رئيس العصيان ومُثيره بين الملائكة ، وهو كذلك عدو الله ، ومبدأ الجريمة ، ومُنشىء الفتن والعصيان .

وتستند المسيحية في هذا الأمر إلى آيات من كتابهم ، وترى أن إبليس سلطان هذا العالم ، وأنه صانع عالم عبادة اوثان ، إلا أن المسيح حدَّ من شوكته ، وقلَّل من قدرته ، وأضعَفَ من جبروته ، وهكذا تمكنت المسيحية من التغلب عليه . ولإبليس المقام الأول بين السحرة ، لأنه ملك «الارواح السفلية» عند المسيحيين وشعراء القرون الوسطى . ولقد نظم هؤلاء الشعراء منظومات خرافية حول إبليس ، ووضّحوا بلوحات

---

(١) دائرة معارف البستاني: ١/٣٣٨ .

شعرية شكله وصفـاته ، مَبْنية على أن إبليس مـوجود، أسود البشـرة ، ذو عينين ينبعث منهما لهيب النار ، وينشر في الفضاء رائحة الكبريت ، وذو قرنين ، وأظافر مَعْقوصة ، وحافر مشقوق .

[والروايات الإسلامية تصف إبليس ، بما يقرب هذه الأوصاف] .

المرحوم المجلسي الثاني ـ بعد أن يذكر حديثاً قصيراً حول سحنـة إبليس وقيافته ـ يروي عن الإمام الصادق عليه السلام فيقول:

«لقد وجدتُ هذا الخبر في كتاب «غور الأعور» للترمذي مع شيء من التفصيل ، ويطيبُ لي هنا أن أبسطه عليكم. . . قال رسول الله صلى الله عليـه وآلـه وسلم: كـان إبليس يـأتي إلى الأنبيـاء عليهم السـلام ويحادثهم ـ من زمان نوح الى زمان عيسى ـ غير أنه كـان يلقى أنساً أكثـر مع يحيى . وقد قدم على يحيى يومـاً ، وحين أراد إبليس العودة قـال له يحيى : أيا أبا مُرَّة ! إنني بحاجة إليك . قال له: قل . قال يحيى: أريـد أن تأتيني بشكلك وصفاتـك. . . وجاءه إبليس في اليـوم الثاني ، وظهـر بشكله أمام يحيى ؛ بوجهه المقلوب والممسوخ . فبدت على وجه يحيى ملامح الدهشة إذ رآه بجسد كالخنزير وجه كالقرد ، وعينين مشطورتين ، وفم عـريض يصل الى طـرف رأسه ، وأسنـان ملصوقـة كأنهـا قطعـة من العظم ، ليس له خدّان ولا فك ، وشعر رأسه قد استرسل الى الخلف ، وذي أربع أيد ؛ اثنتان على الكتفين وأخريان إلى الامام ، وأصابعه تتجه إلى الخلف ، وركبتاه متقدمتان ، وله ست أصـابع ، ووجهـه بارز قـطعة واحدة ، وتتجه مناخيره إلى الأعلى ، وله خرطـوم يشبه منـاقير الـطيور ، ووجهـه في قفاه ، ذو عين يسـرى ، أعرج ، أحـدب ، ولـه جنـاح على جسمه . يرتـدي قميصاً وفي وسـطه حزام كـالمجوس ، قـد عُلقت على أطـرافه جـرار صغيرة ، في يـده جرس ، وعلى رأسـه خوذة في أعـلاهـا حـديدة مستـطيلة ومنحنية. . . [ولقـد أطال المـرحوم المجلسي الحـديث

حول مذاكرات إبليس ويحيى وفصّل فيها][1] .

أما اليزيديون[2] ، في الوقت الحاضر ، وهم المقيمون في مناطق : كردستان ، وأرمينية ، وفي قريتين حول «حلب» وتدعى إحداهما «جَلَمَة» . يبدو أن اليزيديين كانوا بادىء ذي بدء نصارى ، ثم دخلهم الاسلام ، وبعد ذلك دخلت عليهم عبادة إبليس . وعلى الرغم من هذه العبادة فإنهم يعتقدون أن إبليس سيسقط بعد صراعه مع الله كما يعتقدون أن الصلح سيقع بينهما ليعود إبليس إلى مقامه السامي . ويهتم اليزيديون ـ ويعتمدون ـ على إبليس في نهاية الحياة أكثر من الإعتماد على الأنبياء في الديانات الاخرى[3] .

أسماء وألقاب أخرى لإبليس :

١ ـ عَزازيلُ : يقولون أن اللفظة عبرية معناها : عزيز الله ، أو أنه اسم تَيس يرمي عليه الخاطئون ذنوبهم ، يرعى في وادي باير ليخفي ذنوب الناس في موضع لا يعرفه أحد ، وتنتهي أخطاؤهم في ذلك المكان المجهول . وكان هذا الاسم خاصاً به قبل أن تحلَّ عليه اللعنة .

٢ ـ الرجيم : لأن إبراهيم عليه السلام رجمه في منى ، أو لأن الملائكة رمته بالشهب السماوية .

٣ ـ ٨ ـ الحارث : أبو مُرَّة (أو أبو قِتْرة أو فِتْرة) ، أبو كُردوس ، أبو خلاف ، أبو دوجانه .

٩ ـ أبو لُبينَى : لأن لُبينى اسم ابنة إبليس .

---

(١) انظر : دائرة معارف البستاني : ١/٣٣٨ ، ٣٣٩ ـ مجالس ابن الشيخ : ٢١٦ الميزان : ٨ ، ٦٤ ، ٦٥ ـ بحار الأنوار : ٦٠/٢٢٤ ـ ٢٣٣ .

(٢) وانظر تفصيلاً عنهما في كتاب «اليزيديون واقعهم ومعتقداتهم» للدكتور محمد التونجي ، طبعة الكويت .

(٣) دائرة معارف البستاني : ١/٣٣٨ .

١٠ ـ و١١ ـ **نائل**: أبو جان[1] .

وقد شرح أمير المؤمنين علي عليه السلام في نهج البلاغة ـ ولا سيما في الخطبة التاسعة ـ ضمن حديثه عن المتكبرين الذين يتبعون إبليس ، أفعال إبليس والشيطان[2] .

---

(١) انظر اللسان: ١/٢٥٦ ـ قصص الانبياء لابن كثير: ١/٤١ ـ كشف الأسرار: ١٤٥/١٢ ـ معاني الأخبار: ١٣٨ ـ البحار: ١٩٥/٦٠ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٤١ ، ٢٥٥ ، ٣٠٨ ، ٣٣٧ ـ الإتقان: ٨٢/٤ ، ٨٣ ـ قاموس نفيسي: ٢٣٦٤/٤ ـ أعلام القرآن: ٧٨ ـ روح البيان: ٤٥/١ ـ روض الجنان: ١٦/١ .

(٢) نهج البلاغة ، محمد عبده: ٢٢٨/٣ و٢٤٠/٤ ـ البحار: ٢١٤/٦٠ ـ ٢١٥ .

الشيطان Satan

لفظة الشيطان:

سندرس فيما يلي المواضع التي ورد في القرآن ذكر الشيطان مرادفاً لإبليس، بشكل موجز. ويميل بعض العلماء إلى أن لفظة «شيطان» مشتقة من الأصل «شَطَن». والشطن: حبل طويل ومحكم، يُستخرج الماء بواسطته من البئر بعد ربطه بظهور الدواب. وسكان البادية من العرب يقولون عن الحصان الذي لم يُرَّوض بعد: «كأنه شيطان في أشطان». ورُوي عن علي عليه السلام أنه تحدث عن الثعابين فقال: «إن الله عز وجل جعل الموت لأشطانها». وقد استخدم عليه السلام الأشطان (الحبال) على سبيل الإستعارة، لأن الثعابين شبيهة بالحبال ذات الطول والإمتداد. وفي العربية «بئر شَطون» هي البئر العميقة القعر، وفي هذا الاستعمال دلالة على بُعد قعر البئر. وقولهم «شطنت الدار» بعُدت. ويسمي العرب الثعبان ذا الذيل «شيطان».

يستفاد من هذه الدراسة الوجيزة أن «نون» شيطان أصلية ومن أصل الكلمة، ويطلق العرب في محاوراتهم لفظة الشيطان على كل موجود متمرد مهما كان جنسه ونوعه: الجن أو الإنس أو الحيوان.

ويُرجع بعض العلماء اللفظة «شيطان» إلى «شاطَ يشيطُ» بمعنى هلك وفني واحترق . ولكن لا يمكن الإطمئنان إلى هذا الرأي بشكل كامل[1] .

وقد فسَّر بعض المفسرين الآية: ﴿كأنه رؤوسُ الشياطين﴾[2] . بأنها أنوار (ج نَورَ) شجرة جهنم مثل رؤوس الثعابين ، لأن العرب ـ كما لاحظت ـ يسمون نوعاً من الثعابين بالشيطان .

وصفوة القول أن مفهوم «شطن وشيطان» الطول والإمتداد والبعد والخبث والتمرد والسوء ووجه الغضب ، والرقة والغموض . وتنطبق هذه المعاني جميعاً تقريباً على الشيطان ، فهو: خبيث ، متمرد ، ذو وجه قبيح ، بعيد عن الخير والرحمة[3] .

ويحتمل أن تكون لفظة «شيطان» عبرانية الأصل «هاشتيطن» ومعناها المخالفة والعداوة ، أو سريانية الأصل . ولقد اتصف إبليس بلفظة الشيطان بعد أن لعنه الله ، وكنا ذكرنا آنفاً أن اسمه قبل اللعن «عزازيل» و« نائل » . ولا بأس من الرجوع إلى كتبُ التفسير والحديث التي سنذكرها فيما يلي لمعرفة الألفاظ «إبليس» ، شيطان ، جن ، مَلَك ، آدم» .

يقول الذين لا يعتقدون بالمجرَّدات: الأجنة أجسام هوائية أو نارية ، وهي قادرة على الظهور بأشكال مختلفة كالثعبان والعقرب والكلب والجمل والخروف والبغل والأرنب والطائر والإنسان . وهي ذكية

---

(١) انظر: لسان العرب: ١/ ٣١٦ ، ٣١٧ .
(٢) سورة الصافات ، الآية: ٦٥ .
(٣) اللسان: ٢/ ٣١٦ ، ٣١٧ ـ النهاية في غريب الحديث ـ مادة «شطن» ـ مجمع البيان: ١/ ١٨ ـ روض الجنان: ١/ ١٦ .

وعاقلة ، وكثيرة التحمُّل ، وهذا ما جعلها تقوم بالأعمال الضخمة في زمان سيدنا سليمان .

أما الذين يقولون بالمجردات فيعتقدون بأن الأجنة مجردات أرضية وسفلية ، لأن المجردات ـ أي الموجودات التي لا تحتاج إلى حيِّز ومكان ، ولا تحلُّ بمكان ، أو أنها أعلى وأعظم من أن يتدبر أمورها شيء ـ عبارة عن «الملائكة المقربون» ، ويدعوها المشّاؤون عقولاً ، والإشراقيون «الأنوار العالية القاهرة» ، أو أنها مرتبطة بتدبير الأجسام وتأثيرها ، ذلك أن المشّائين يعدّونها «النفوس السماوية» ، والإشراقيين «الأنوار المدبرة» . وإن أفضل الموجودات المجردة حَمَلة العرش ، وما زال عددها حتى الآن أربعة ، وسيبلغ عددها ثمانية يوم القيامة ، وآنئذ سيتحلق بعض الملائكة حول العرش ، وبعضها حول الكرسي ، وملائكة للسماوات ، وملائكة لكرة الأثير والهواء . وفي الطبيعة نسيم وثمار ـ وملائكة كرة الزمهرير ، وملائكة للبحار والجبال .

إن للأرواح السفلية التي تؤثر في الأجسام النباتية والحيوانية مرتبة متميزة في نظام خلقتها . ولبعض من هذه الأرواح السفلية نور وأعمال خيِّرة وهي أصلاً من أهل الخير ، وتدعى «الأجنة الصالحة» . وهي موجودات غير مرئية ، وتقوم بالأعمال اللائقة والمعتبرة .

وفئة أخرى من الأرواح السفلية سوداء مظلمة ، وسيئة وتقوم بالأعمال المُشينة . وهي عبارة عن الشياطين .

ويبدو أن الشياطين في القرآن والحديث هي نفسها إبليس وأعوانه وأنصاره ، غير أن بعض الباحثين يعتقدون أن الشياطين هي كل موجود متمرد وعاص وضالّ عن الصراط المستقيم(١) ، كما قال تعالى :

---

(١) روح البيان : ١/٤ و٥ ـ أعلام القرآن : ٧٨ .

﴿شياطين الإنس والجن﴾(١) .

وقد ورد «الشيطان» في سبعين موضعاً بصيغة المفرد ، وثماني عشرة مرة بصيغة الجمع . وبشكل عام وردت ألفاظه في القرآن الكريم مائة وثمانين مرة . ومن هذه اللفظة ـ مرادفة لإبليس وبصيغة النكرة ـ تعددت الأوصاف «الرجيم ، المريد ، المارد» في سورة التكوير ، والنساء ، والصافات(٢) .

أكان إبليس من جنس الملائكة ؟

تعارضت آراء المفسرين حول هذا الموضوع واختلفت:

أ ـ أدلة القائلين بوحدة الجنس بين إبليس والملائكة:

١ ـ يستفاد من دراسة الروايات المتعددة ، أن مقام إبليس مثل مقام الملائكة بل يفوْقها . ويقولون: إن إبليسْ كان ـ قبل وقوعه في العصيان وتمرده ـ من جنس الملائكة ، ومن سكان الأرض ، ويفوق الملائكة جميعاً في المعرفة والإجتهاد ، وهذا هو سبب تعاليه وتكبره .

ويقولون ـ إضافة إلى ذلك ـ إن إبليس كان من فصيلة الجن ورئيس ملائكة الأرض . وتعتبر فصيلته من أكبر فصائل الملائكة وأكثرها سطوة . من ذلك أنه كان خازن الجنة إضافة إلى سلطته على السماء الدنيا والأرض ، وإليه أمر تدبير ما يلزمها . وهو ممن حظي بالأجنحة الأربعة ، مما يجعله ذا اقتدار في هذه السماوات . إلا أن مقام إبليس إنحطَّ في النهاية بعد تمرده ، وحين أمر الله تعالى الملائكة أن تسجد لآدم اعتراه الإستكبار والخيلاء ، فحوَّله الله إلى صورة شيطان رجيم مَريد(٣) .

---

(١) سورة الانعام الآية: ١١٢ .

(٢) المعجم المفهرس: ٣٨٢ ـ و٣٨٣ ـ أعلام القرآن: ٨٣ و٨٤ .

(٣) جامع البيان: ١/١١٧ ـ الدر المنثور: ١/٥٠ ـ مجمع البيان: ١/٨٣ ـ التبيان =

٢ ـ دليل آخر على وحدة الجنس بين إبليس والملائكة: قال المفسرون من أمثال قتادة وابن عباس وغيرهما في تفسير الآية **﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس﴾**(١): كان إبليس واحداً من الملائكة وكان يطوف على الملائكة التي كانت تسكن الأرض والتي تدعى الجن . وكلام علي عليه السلام في نهج البلاغة: «ليدخل الجنة بشراً بأمرٍ أخرج به ملكاً. . .» مؤيد أن الملك أُخرج من الجنة ، ذلك أن ابن مسعود يروي كذلك أن إبليس كان مأموراً على السماوات ومن جملة الملائكة التي كانت تسمى جنّاً ويدل هذا الإسم على أن الجن كانوا خَزَنة الجنة . وكان إبليس ـ إضافة إلى كونه خازناً ـ يحكم السماء الدنيا .

وفي تفسير ابن عباس لقوله تعالى: **﴿إلا إبليس كان من الجن﴾**(٢)قال: ولهذا السبب كانوا يسمون الفردوس «جناناً» وهذا يدل على أن إبليس كان من طائفة الجن وخازناً . وقال أيضاً: لو لم يكن إبليس من جنس الملائكة لما أُمر بالسجود .

وجماعة أخرى من المفسرين ـ بعد ذكرهم هذا ـ أشاروا إلى أن محمد بن إسحاق كان يقول: الجن نوع من الموجودات المخفيَّة التي لا يمكن رؤيتها ، أما الآية: **﴿إلا إبليس كان من الجن﴾** فمعناها: أليس إبليس من الجن والمخلوقات المخفية والتي لا يمكن رؤيتها ومن جملة الملائكة ؟ ذلك أن الملائكة أيضاً مخفية ولا يمكن رؤيتها ، وقد قال تعالى: **﴿وجعلوا بينَه وبين الجنةِ نسباً ولقد علمتِ الجنةُ انهم**

= للطوسي: ١/ ١٥٠ و١٥١ ـ روح الجنان: ١/ ٨٨ ـ الجامع لأحكام القرآن: ١/ ٣٩٤ ـ قصص القرآن: ٤١ .

(١) سورة البقرة ، الآية: ٣٤ .

(٢) سورة الكهف الآية: ٥٠ .

لمحضَرون﴾[1]مبنيّ على أن قريشاً كانت تقول: الملائكة بناتُ الله ، ويردُّ الله تعالى عليهم: ﴿أمِ اتَّخذَ ممّا يخلقُ بناتٍ وأصفاكم بالبنين﴾[2] . ولو أن الملائكة بنات الله لكان إبليس من جنسها .

وفي الواقع فإن العرب لم يستخدموا لفظ الجن قط إلا للتعبير عن الموجودات المخفية . والله تعالى دعاها جنّاً لأنها مخفية وغير مرئية ، ودعا بني آدم إنساً لكونهم ظاهرين ، والجن مأخوذ من الإجتنان بمعنى الستر ، ولهذا دُعي الطفل في بطن أمه جنيناً . ولما كان الترس ساتراً ، ويختفي المحارب وراءه فقد أسموه «جُنَّة» . ولهذا يدعون الفردوس جنةً ، لان ارضها مغطاة بالأشجار . ويعبِّرون كذلك عن فاقد العقل بالمجنون ، لأن عقله في حال الجنون مستتر لا يعمل .

فعلى هذا يمكننا أن نطلق لفظ الجن على الملائكة ـ بناء على المفهوم اللغوي ـ ولهذا يقول الطبرسي: للملائكة والجن حقيقة واحدة ، مع مراعاة أن المختارين ملائكة والأقل مرتبة جنّاً ، وهذا ينطبق على البشر ، ففئة منهم ممتازون وهم الأنبياء والأئمة عليهم السلام ، وسائر النوع الانساني أقل مقاماً .

في حواشي الأخبار وتفسير البيضاوي نرى: «وقسم من الملائكة غير معصومين . فمع أن العصمة غالبة على الملائكة ، ومع أن فئة من الناس معصومون فإن اكثرهم غير معصومين . ولعل صنفاً من الملائكة وهي لا تختلف عن الشياطين أصلاً ، واختلافها في الأعراض والصفات . وإبليس من الفئة غير المعصومة وهو يحسب من الملائكة . صحيح ان المَلك خُلق من نور وإبليس من نار ، فإن النور منبعث من جوهر الإشعاع والنار من هذا الجنس أيضاً . ومع كل هذا الإختلاف فإن

(١) سورة الصافات ، الآية: ١٥٨ .
(٢) سورة الزخرف ، الآية: ١٦ .

ضياء النار وشعاعها ينجم عنهما سحاب داكن وملوَّث ، ويتجنَّب المرء النار لحرارتها خاصَّية الإحراق التي فيها . وفي حال كان هذا الشعاع خالياً من التلوث ونقياً من الشوائب كان محض نور ليس غير . وإن أعيدت النار إلى حالها الأول نراها خامدة ولكن دخانها مؤذٍ .

يقول محمد رشيد رضا: «ليس بين أيدينا دليل يفصل بين جوهر الملائكة وجوهر الجن . فهما مخلوقان ممتازان ، ولكن الإختلاف بينهما ناجمٌ عن الإختلاف الوصفي ليس غير»[1] .

٣ ـ ومن الأدلة الأخرى على جنس إبليس والملائكة سياقُ تعبير الآيات المربوطة بالتمرد والإستكبار الذي يتصف به إبليس . دلَّ الله سبحانه ـ باستثناء أمره لإبليس والملائكة بالسجود لآدم ـ على أن أصلهما واحد ، بمعنى أن إبليس كان مأموراً هو والملائكة ، نـدّاً لنـدٍّ ، بأن يسجد لآدم . ويحسنُ أن نشير هنا إلى أن أي استثناء لم يحصل عليه من بين زمرة الملائكة ، لكن الإستثناء حصل في الناحية الوصفية وهو أنه رفض أمر الله الصادر ، ورفض طاعته . فالإستثناء جاء من الوصفية وليس من أصله مع الملائكة .

ونصل في النهاية إلى هذه النتيجة: هي أن إبليس لو لم يكن من جنس الملائكة لما شمله أمر ﴿**وإذ قلنا للملائكة اسجدوا . .** ﴾[2]ولما نجم عنه الإباء والإستكبار . وبما أننا نعلم أن إبليس ـ بسبب تركه

---

(١) انظر: جامع البيان: ١٧٨/١ ، ١٧٩ ـ التبيان للطوسي: ١٥٢/١ ـ ١٥٣ ـ التفسير الكبير: ٢١٣/١ ـ قصص الانبياء لابن كثير: ٤١/١ ـ مجمع البيان: ٨٢/١ ـ الدر المنثور: ٥٠/١ ـ نهج البلاغة: ١٦٢/٢ ـ قاموس القرآن: ٢٢٧/١ ـ روح الجنان: ٨٧/١ ، ٨٨ ـ الجامع لأحكام القرآن: ٢٩٤/١ ـ أنوار التنزيل: ١٤١/١ ـ البحار: ١٧٨/٦٠ و٣٣٠ ـ المنار: ٢٥٦/١ و٣٢٨/٨ .

(٢) سورة البقرة: الآية: ٣٤ .

السجود ـ مستكبر ويستحق اللوم فإننا نستنتج أنه تغاضى عن أمر ربه وإن شمول هذا الأمر نحو إبليس صحيح ويدل على أنه من جنس الملائكة . ولا بد لنا من أن نذكر أن هذا الإستثناء هو استثناء متصل مبني على أن هذا المستثنى هو من جنس المستثنى منه .

ب ـ أدلة المنكرين لوحدة الجنس بين إبليس والملائكة :

يقول الشيخ المفيدي : لم يكن إبليس من جنس الملائكة ، إنما هو من جنس الجن . والأخبار المتواترة عن الأئمة عليهم السلام تؤيد انعدام وحدة الجنس بينهما . ويؤيد علماء الشيعة هذه النقطة [ولدى علماء الشيعة عدد من الأدلة تثبت عدم وجود وحدة جنس بين إبليس والشيطان من جهة والملائكة من جهة أخرى] .

١ ـ ففي الآية ﴿ . . . **إلا إبليس كان من الجن** . . . ﴾[١] دليل على أن إبليس من الجن . وفي الآية : ﴿**لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون**﴾[٢] . وصفهم وعرَّف بهم . وظاهر هذه الآيات يدل على أن إبليس لم يكن من الملائكة[٣]، وقد قال الامام الصادق عليه السلام : «ظنت الملائكة أن إبليس من جنسها ، لكن الله تعالى يعلم أنه غير ذلك»[٤] . «لقد أمر الله الملائكة بالسجود ، فدخل إبليس ضمن دائرة هذا الأمر مع الملائكة ، لأن إبليس ضمن دائرة هذا الأمر مع الملائكة ، لأن إبليس كان في معيَّة ملائكة الله في السماء يُظهر عبوديته ، وكانت الملائكة تظنُّ أنه من جنسها ، في حين أنه لم يكن كذلك . ولكن حين أصدر الله أمره بالسجود أظهر إبليس حسده الذي كان كامناً في قلبه عضباً وحمية . حينئذٍ أدركت الملائكة أن إبليس لم يكن من

(١) سورة الكهف ، الآية : ٥٠ .

(٢) سورة الانبياء ، الآية : ٢٧ .

(٣) الميزان : ٢٢/٨ .

(٤) الميزان : ٥٦/٨ .

جنسها[١] .

ويقول جميل بن دراج : «سألت الإمام الصادق عليه السلام : أكان إبليس من الملائكة ؟ وكان له تدبير محدد في السماء ؟ فأجاب لم يكن من الملائكة ، ولم يكن له أي صفة في السماء ، لقد كان من الجن يطوف مع الملائكة» .

كما أن الإمام عليه السلام قال: «تختلف الجن عن الملائكة من ناحية الخلقة»[٢]، والجانُّ هي هذه الموجودات التي ذكرها الله في الآية **﴿والجانَّ خلقناه من قبلُ من نارِ السَّموم﴾**[٣] .

ولهذا يقول مؤيدو هذه النظرية: إذا ذكرت كلمة «الجن» بصورة مطلقة أو بدن قيد إضافي ، لم تُعتبر إلا جنساً خاصاً بها كجنس الإنس والملائكة ، ليس غير[٤] .

فإن علمنا أن إبليس من جنس الجن لا بد لنا أن نعلم أيضاً أنه لم يكن من زمرة الملائكة ، لأن الله تعالى قال: **﴿ويومَ يَحشُرُهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون * قالوا سبحانكَ أنت وليُّنا من دونهم بل كانوا يعبُدون الجن. .﴾**[٥] . تبرز هاتان الآيتان التفاوت صريحاً بين «الجن» و«الملك»[٦] .

---

(١) البرهان للبحراني: ٧٦/١ و٧٨ ـ الكافي (الروضة): ١٤١/٨ ـ سفينة البحار: ٩٨/١ ـ الميزان: ١٥٥/١٢ .

(٢) البرهان للبحراني: ٤٧١/٢ ـ الكافي (الروضة): ٢٧٤/٨ .

(٣) سورة الحجر ، الآية: ٢٧ .

(٤) التبيان للطوسي: ١٥٢/١ ـ مجمع البيان: ٨١/١ والجامع لأحكام القرآن: ٢٩٤/١ .

(٥) سورة سبأ ، الآية: ٤٠ ، ٤١ .

(٦) التفسير الكبير: ٢١٣/١ .

وكـان الحسن البصـري يقـول: «لمن يكن إبليس ، حتى قـدر غمضة عين ، من الملائكة قط» .

وكان شهر بنُ حَوشَب يقول: كـان إبليسٍ من الجن . وحين عاثت الأجنَّة في الأرض فساداً أرسل الله عليها جيشـاً من الملائكـة ، فقاتلتهـا المـلائكـة وأبعـدتهـا إلى جـزر البحـر النـائيـة . وكـان إبليس من جملة الأسرى ، فساقته الملائكة إلى السماء ، فمكث فيها . وفي ذلك الـوقت أمر بالسجود وامتنع(١) .

سئـل الإمام الصـادق عليه السـلام: كيف شمـل الأمـر بـالسجـود إبليس ، وكان المأمورون ملائكة وسجدوا ولم يشمل إبليسَ هذا الأمـرُ ؟ قال: «لقد كـان إبليس مع المـلائكة عن طـريق الولاء وتحت الحمـاية ، لكنه لم يكن من جنسها . وهذا يثبت أن الله خلق مخلوقات قبـل آدم ، وكـان إبليسٍ منهم وكان يحكم في الأرض . وفسـدت هذه المخلوقـات وتمـردت وشُغلت بالقتـل وسفك الـدماء ، فـأمر الله المـلائكة أن تـوقف سفك الدماء والقتل ، فأسرت إبليسَ وقادته إلى السماء» (٢) .

جاء في بعض الروايات أن: « . . إبليس حين أسرته الملائكة كان صغيـر السن ، فانشغـل معها بـالعبادة ، ولهـذا شمله خـطاب الله وأمـره بالسجود ولا شك أنه اعتبر واحداً منها من هذه الناحية»(٣) .

٢ ـ والـدليـل الثـاني على عـدم تكـافؤ الجنسين وعلى تفـاوت العنصـرين ، أن إبليس والملائكـة خلقت من عنصرين ، ولا شـك أن إبليس خُلق من نار ، يؤكد هذا حين أبدى احتجـاجه الى الله : ﴿خلقتني

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ١/٢٩٤ ـ قصص الانبياء لابن كثير: ١/٤٠ .
(٢) البرهان للبحراني: ١/٧٦ .
(٣) مجمع البيان: ١/٨٣ ـ جامع البيـان: ١/١٧٩ ـ تفسير القمي: ٣٢ ـ البحـار: ٦٠/٢٣٤ و٢٧٣ ـ الجامع لأحكام القرآن: ١/٢٩٤ .

من نار وخلقته من طين﴾(١) .

وكنا رأينا آنفاً أن إبليس من جنس الجن ، وذكر القرآن صراحه أنّ الله خلق الجن من النـار ، قـال تعـالى : ﴿وخلق الجـانّ من مـارج من نار﴾(٢) .

ونحن نعلم أن الملائكة لمْ تُخلق من نـار ، بل خُلقت من نـور أو روح أو ريـح ، وإبليس هو الشيـطان نفســه وخُلق الشيـطان من نـار(٣) . فعلى هذا يتضح لنا أن مبدأ خلق إبليس والملائكـة من جهة نظر القرآن والحديث ، مختلف ومتمايز في أصله .

قال ابن أبي حاتم عن محمد بن عامر المكي : «خلق الله الملائكة من نور ، والجانّ من نار ، والبهائم من ماء ، وآدم من تراب ، وأقـرّ الله الطاعة في الملائكة والمعصية في الجن والإنس»(٤) .

والمشهور أن الملائكة مخلوقات روحانية لأنهـا خلقت من ريح أو روح . ولهذا عدَّت الملائكة صنفاً من الموجـودات ، هذه المـوجودات التي يمكن تصنيفها إلى ثلاثة أنواع هي :

١ ـ الأخيار والمنتخبون ، وهم الملائكة .

٢ ـ الاشرار ، وهم الشياطين .

٣ ـ الأوسـاط ، والـذين بينهم الأخيـار وبينهـم الأشـرار وهم الجن بدليل الآية : في قوله تعالى : ﴿وأنّا منّا المسلمون ومنّا القاسطون﴾(٥) .

---

(١) سورة الاعراف ، الآية : ١٢ . وفي مواضع اخرى .
(٢) سورة الرحمٰن ، الآية : ١٥ .
(٣) مجمـع البيـان : ١/٨٢ ـ التفسيـر الكبيـر : ١/٢١٤ ـ المعجم لفنسنيـك : ٣/١٢٨ .
(٤) الدر المنثور : ١/٥١ .
(٥) سورة الجن ، الآية : ١٤ .

ويشكل إبليس والشياطين مع طائفة من الجن هذا النوع المنحرف[١] .

٣ ـ ودليل ثالث هو أن إبليس ذو نسل وذرية وأصل ، تتوالد مثله ومن جنسه . وكنا ذكرنا سابقاً ـ بناء على روايات متعددة ـ أنه يدعى أبا الجان ، كما أن آدم عليه السلام يدعى أبا الإنس أو أبا البشر في حين أن الملائكة لا تتناسل : لا تأكل ولا تشرب شيئاً[٢] .

ودليل هذا الأمر أن هذا التوالد والتناسل يمكن أن يجري عن طريق لقاح جنس الذكر مع جنس الأنثى ، في حين أن الملائكة ليس بينها مذكر ومؤنث ، لأن الله تعالى يقول عن الملائكة ردّاً على من اعتقدوا أن الملائكة إناث : **﴿وجعلوا الملائكةَ الذين هم عبادُ الرحمٰن إناثاً أشَهِدوا خلقهم . .﴾**[٣] .

وحين تنتفي الأنوثة عن الملائكة ينتفي النسل من بينها حتماً[٤] .

٤ ـ يجب ان تعتبر عصمة الملائكة دليلاً آخر على إثبات اختلاف جنسها عن جنس إبليس بدليل قوله تعالى :

﴿لا يعصون الله ما أمَرهُم ويَفعلون ما يؤمرون﴾[٥] .

فالله تعالى نفى المعصية عن الملائكة ، نفياً قاطعاً . أما إبليس فلم يكن معصوماً ، بل إنه ليس له عمل ولا يصدر عنه عمل غير المعصية . إضافة إلى هذا فإن الله دعا الملائكة رُسلَه ، قال تعالى : **﴿جاعلِ الملائكةِ رُسُلاً أولي اجنحةٍ﴾**[٦] . ومعلوم أن الكفر والفسوق

---

(١) انظر التفسير الكبير : ١/٢١٤ ـ المنار : ٨/٢٤١ و٣٢٩ .
(٢) التبيان للطوسي : ١/١٥٢ ـ مجمع البيان : ١/٨٢ .
(٣) سورة الزخرف ، الآية : ١٩ .
(٤) التفسير الكبير : ١/٢١٤ .
(٥) سورة التحريم ، الآية : ٦ .
(٦) سورة فاطر ، الآية : ١ .

ليس لهما طريق إلى رسل الله . ولو أن الكفر والفسوق وجدا طريقهما نحوهم لتسرب إليهم الكذب ، لكن من المسلَّم به أن الكذب غير وارد عندهم أصلاً ، وهذا الإبليس كان فيه وما زال يحمل الفسق والكذب والكفر [1] . فمحال على إبليس أن يكون ـ على هذا ـ من جنس الملائكة .

٥ ـ والاستثناء في ﴿فسجدوا إلاَّ إبليس﴾[2] لا يعدُّ دليلاً قاطعاً على إثبات توافق جنسية إبليس مع جنسية الملائكة . وإنما استثني إبليس ـ من السجود لآدم ـ لأنه كان مع الملائكة : فهذا الاستثناء ـ كما أسلفنا على رأي بعض المفسرين ـ استثناء منقطع ، بمعنى أن المستثنى ـ ختلف قطعاً عن جنس المستثنى منه . وهذا الإستثناء المذكور في الآية المزبورة شبيه بالإستثناء المنقطع في الآيتين المذكورتين :

﴿ما لهُم به من علم إلا اتبّاع الظنِّ﴾[3] .

﴿فلا صَريخَ لهُم ولا هُم يُنْقَذون إلا رحمةً مِنّا . .﴾[4] .

وإن الأدلة الأربعة السابقة تؤيد نوع الإستثناء في مثل هذه الآية والذي هو منقطع[5] .

---

(١) انظر مجمع البيان : ١/٨٢ ـ التفسير الكبير : ١/٢١٤ .
(٢) سورة البقرة ، الآية : ٣٤ .
(٣) سورة النساء ، الآية : ١٥٧ .
(٤) سورة يس ، الآية : ٤٣ و٤٤ .
(٥) مجمع البيان : ١/٨٣ ـ التبيان للطوسي : ١/١٥١ ـ الجامع لأحكام القرآن : ١/٢٩٤ .

ذرّيّة ابليس وأبناؤه وعملهم

من دراستنا للروايات وتفاسير الآيات المتعلقة بإبليس ـ كما اسلفنا ـ نستنتج أن توالد إبليس وتناسله كان موضع التأييد . ولإبليس ذرية وأبناء ونسل ، وأسماء بعضها ذُكرت في الروايات بعدد من الصور:

١ ـ **اللاقِسُ والوَلْهانُ**: وهو المشرف على ماء الطهارة والوضوء ، ويُغري بكثرة باستعمالها . وقد جاء في بعض الأحاديث أن الإمام الصادق عليه السلام قال في معرض تقبيح المساحقة: «ستقتل ابنة إبليس اللاقس» .

٢ ـ **الهفاف**: الذي يحمي البوادي والصحاري ويُضلُّ الناسَ فيها ، ويقولون: إنه يُضلهم بشراب مُسكر .

٣ ـ **الزَّلَنْبور**: مأمور بالإسراف على الأسواق ، ويحضُّ الناس على الثرثرة واليمين الكاذبة وتحسين البضاعة لدى التجار ليُظهروا حسنات مبيعاتهم . إنه يرفع رايته في كل سوق بين السماء والأرض ، وترفرفُ على أول دكان تُفتح وآخر دكان تغلق .

٤ ـ **الثَّبر**: مأمور على المصائب والأذى وتخريش الوجوه واللطم وتمزيق الثياب للمصابين والمنكوبين ، ويدعو الناس إلى الاقتتال والإفناء .

٥ ـ **الأعـور**: يسعى إلى الزنـا ، ويحثُّ عليـه ، ويبعث القـوة في فرجَي الرجل والمرأة . ويقولون: إنه يقف على أبواب السلاطين .

٦ ـ **الداسم**: عمله هو أن الرجل حين يـدخل على أهله ولا يسلم عليهم ولا يذكر اسم الله يـدخل معـه فيوغِـرُ صدور الأهـل على بعضهم بعضاً ويحدث الشرور . وحينما يبدأ المرء بتناول طعامـه ولا يذكـر اسم الله يشاركه في طعامه .

٧ ـ **المطرش أو المشوط أو الوشوط**: وهـو مأمـور على الأخبار ، فيطعِّم هذه الأخبار بالكذب والبهتان وينشرها على ألسنـة العامـة ، وهي الأخبار التي لا أساس لها من الصحة ولا الحقيقة .

٨ ـ **لُبَيْنَى**: وهو اسم إبنـة إبليس ، ولهذا يكنى إبليس بأبي لبينى . وقد ذكر السُّهيلي هذا الاسم في «الروض الأُنُف» . ويقولون للُبَيْنَى أيضـاً «الطُّرطبة» .

ولا شك أن هناك اسماء أخرى لأبنـاء إبليس ، مثل: غيـلان جمع غول[1] .

جند إبليس وجيشه:

ورد في القـرآن الكريم التعبيـر ﴿جنـود إبليس﴾ مـرة واحـدة فقط وذلـك في قـولـه: ﴿**فكبكبـوا فيهـا هم والغـاوون وجنـودُ إبـليسَ أجمعون**﴾[2] .

تشـابهت ـ كما سيتضـح ـ كتب التفـاسيـر والحـديث في مضـامين شرح التعبير «جنود إبليس» ، وفيما يلي نماذج:

---

(١) انـظر البحـار: ٢٦٨/٦٠ و٢٧٠ و٣٠٦ و٣٠٧ ـ الجـامـع لأحكـام القـرآن: ٤٢١/٧ ـ الإتقان: ٨٣/٤ ـ سفينة البحار ـ ١/ ٩٩ و١٠٠ـ أعلام القرآن: ٧٨ .
(٢) سورة الشعراء ، الآية: ٩٤ و٩٥ .

ـ ضمن رواية مفصلة للإمام الصادق عليه السلام نلاحظ أنه يعتبرهم ابناءه ونسله ـ وهم الشياطين ـ[1] .

ـ جنود إبليس: أتباعه، وهم ابناؤه وأبناء آدم[2] .

ـ جنود إبليس: أتباع معصيته من الجن والإنس[3] .

ـ جنود إبليس: هم الذين علّمهم عبادة الأوثان، ولهذا يعدّون أتباعه[4] .

ـ أمير المؤمنين عليه السلام يعرّف الغضب بأنه واحد من جنود إبليس حين يقول: «احذر الغضب لأنه جندي من جنود إبليس وجيش عظيم من جيوشه»[5] وكذلك يقول: «اتخذوا التواضع سلاحاً لأعدائكم، عدوّكم إبليس وجنوده، لأن لإبليس في كل أمة جيوشاً وأتباعاً وجنوداً فرساناً وراجلين»[6] .

ـ يقول العلامة الطباطبائي: جنود إبليس هم جلساء الشياطين وهم الذين ذكر القرآن أنهم اشخاص من أهل الضلالة، مأواهم النار. قال تعالى:

﴿ومن يَعْشُ عن ذكرِ الرحمٰن نُقيِّضْ له شيطاناً فهو لهُ

---

(١) الكافي (أصول): ٤٦/٣ ح ١٥١٠ ـ البرهان للبحراني: ١٨٥/٣ ـ مجمع البحرين: ٢١/٣ .

(٢) مجمع البيان: ١٩٤/٧ ـ جامع البيان: ٥٥/١٩ ـ التبيان للطوسي: ٣٦/٨ ـ الجامع لاحكام القرآن: ١١٩/١٣ .

(٣) روض الجنان، تحقيق القمشة إي: ٢٦٥/٧ ـ التفسير الكبير: ١٥٢/٢٤ ـ روح المعاني: ١٠٣/١٩ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن: ١١٩/١٣ .

(٥) نهج البلاغة: ١٤٤/٣ .

(٦) نهج البلاغة: ١٦٥/٢ .

قَرينٌ﴾[1] إلى قوله:

﴿ولن يَنْفَعَكُم اليومَ إذ ظَّلمتُم أنَّكم في العذاب مشتركون﴾[2].

مجموعتان من جنود إبليس:

جاء في تفسير الكلبي رواية عن ابن عباس أن جنود إبليس فئتان: فئة تتجه نحو الناس، وفئة تُرسَل نحو الجن. فعلى هذا فإن شياطين الإنس والجن» هم أعداء رسل الله والمؤمنين، فشياطين الإنس والجن متفقة في كل الأوقات، وكل واحد يقول للآخر إني جليسك وصديقك، طعنت فلاناً وفلاناً طعنات ضالّة. وإذ يسمع الآخر هذا الإغواء يقول: فعلى هذا عليّ أن أكون صديقك وتابعك لأتبعك في إغوائك. فالشياطين، مثيرو الفتن ومبدعوا الشر، يعلمون بعضهم بعضاً ويلتقون على الضرّاء[3].

ـ وعبَّر القرآن عن جنود إبليس أيضاً بلفظ «قبيل». قال تعالى: ﴿إنه يراكُم هو وقَبيلُه من حيث لا تَروَنَهم﴾[4]. وفسَّر الطبرسي «القبيل» بذرية إبليس وأبنائه أو جنوده وجيوشه وأتباعه أي الجن والشياطين[5].

ظهور إبليس بصور مختلفة:

ذكر الأشاعرة والمعتزلة أدلة مختلفة على عدم ظهور الجن، ومنها إبليس. ويرجع الأشاعرة عدم إمكانية رؤية الجن إلى قصر قوة باصرة الإنسان (الرائي)، بينما يرى المعتزلة أن عدم رؤيتها يعود إلى رقة

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٣٦.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٣٩. الميزان: ١٥/٢٩٠.

(٣) مجمع البيان: ٤/٤٠٩ ـ البحار: ٦٠/١٤٩ و١٧٦.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٧.

(٥) انظر: مجمع البيان: ٤/٤٠٩ ـ البحار: ٦٠/١٥٦.

أجسام الجن وشفافيَّتها (المرئيّ) .

يقول فخر الدين الرازي بعد أن يستعرض الآراء حول تمثل الجن بصورة مختلفة: «إذا كانت الجن قادرة على إيجاد أشكال مختلفة ـ طبقاً لرغبتها ـ فإن معرفة الناس لها ستتزلزل ، فقد نرى ذلك الشكل ونظنه ابناً لنا ، أو زوجة ، أو زوجاً ذلك أن الموجود الجني يستطيع تغيير صورته بشكل ابني أو زوجتي . . . لذا فإن تبديل مظهر الجن بالصورة التي يحلو لها باعث على اضطراب الناس وجنونهم وهذا غير ميسَّر للجن تماماً ، ذلك أن اقتدار الجن أو إبليس محدود ، ويؤيد هذا الكلام ما جاء في الآية: ﴿**وما كانَ لي عليكم من سلطانٍ إلا أن دعوْتكم فاستجبتم لي . . .**﴾(1) .

يقول مجاهد: «قال إبليس: أُعطيت لنا أربع خصال: أن نرى ، ولا يرانا أحد ، نخرج من تحت الأرض ، أعجازنا يعودون شباباً»(2) .

على أن الروايات حول تمثل الجن بصورة مختلفة كثيرة ، من ذلك قال جابر بن عبد الله الأنصاري: «ظهر إبليس بأربع صور:

1 ـ ظهر يوم بدر بصورة سُراقة بن جُعشُم المُدْلجي ، وكان يقول لقريش: ﴿**لا غالب لكم اليوم من الناس . .**﴾(3) . أنا أحميكم ، أنا جارٌ لكم فاخرجوا . وحين خرجوا مندحرين قال: ﴿**إني بريء منكم**﴾(4) .

2 ـ وفي يوم العقبة ظهر بصورة منبه بن الحجاج وصاح: لقد وفدّ محمد ومن معه على العقبة فاخرجوا عليهم . فقال محمد صلى الله عليه

---

(1) سورة إبراهيم ، الآية: 22 .

(2) التفسير الكبير: 14/54 ـ البحار: 60/157 ، 158 نقلاً عن التفسير المذكور . .

(3 و4) سورة الأنفال ، الآية: 48 .

وآله وسلم : «لا تخافوا منه لأن صوته لن يتجاوز نفسه» : [ولن يصل إلى آذان الآخرين] .

٣ ـ بينما كانت قريش مجتمعة في دار الندوة دخل إبليس عليهم في صورة شيخ من أهل نجد .

٤ ـ يوم توفي النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ظهر لهم بصورة المغيرة بن شعبة وقال : «لا تُعيدوا خلافة بني هاشم»(١) .

عبادة إبليس قبل استكباره :

يبدو من دراستنا لعدد من الأحاديث أن إبليس ـ قبل تمرُّده واستكباره عن السجود لآدم ـ كان يعبد الله :

ـ نرى أن أمير المؤمنين عليه السلام يقول في خطبته القاصعة : « . . اتّعظوا بما فعله الله بإبليس فقد أحبط الله عمله ومسعاه على مدى الدهر ، وهو الذي عبد الله ستة آلاف سنة ، ولا نعلم أكانت هذه السِّنون من سنوات الدنيا أو الآخرة»(٢) .

ـ يكتب المرحوم المجلسي توضيحاً للرواية التي ذكرها العياشي في تفسيره حول تصوُّر الملائكة أن إبليس من جنسها : «كانت الملائكة تظن أن إبليس في طاعته وعدم معصيته من جنسها ، لأنه كان مواظباً في عمله على عبادة ربه عبر زمان طويل»(٣) .

ـ الإمام الصادق عليه السلام قال : «عبدَ إبليس ربه في السماء مدة سبعة آلاف سنة بركعتين ، والله تعالى كذلك منحه مزايا في مقام

---

(١) مجالس ابن الشيخ : ١١١ ، ١١٣ ـ البحار : ٢٣٣/٦٠ ، ٢٣٤ و١٦٠ ـ الميزان : ١٠٨/٩ نقلاً عن البرهان للبحراني .
(٢) نهج البلاغة : ١٦٣/٢ . وانظر كذلك البحار : ٢١٤/٦٠ .
(٣) تفسير العياشي : ٣٤/١ ـ البحار : ٢١٨/٦٠ ، ٢١٩ .

مكافأته على عبادته»[1] .

ـ وسئل الإمام نفسه عليه السلام: «لماذا قال الله لإبليس: أدَعُك تضلُّ بني آدم إلى يوم الوقت المعلوم ؟ فأجاب: لسابق عمله الذي كوفىءَ عليه.. فقال الراوي: وماذا كان هذا العمل ؟ قال: ركعتان عبدَ بهما الله عبرَ ألفي أو أربعة آلاف سنة[2] .

يلاحظ أن رواية الحديث كانت سبعة آلاف سنة وهُنا حُددت بألفي سنة أو أربعة آلاف، فيُظن وجود تعارضٍ بين الروايتين ظاهراً. يقول المرحوم المجلسي: هل أوجبتِ التقية وجود هذه المدة والتي هي أربعة آلاف سنة؟ [3].

ونرى من ناحية أخرى في نهج البلاغة أن مدة عبادة إبليس تبلغ ستة آلاف سنة. ربما أن كلمة «سبعة» في نهج البلاغة صُحفت وقرئت «ستة». كما أننا نجد في بعض الروايات أن سجدة إبليس الواحدة طالت مدة أربعة آلاف سنة[4] .

ومن إطلاعنا على هذه الروايات لا نستطيع أن نقول أن إبليس كان في الأصل كافراً، ما لم نحسب عبادته هذه رياءً، ذلك أن بعض الروايات تؤكد أن إبليس كان كافراً ومنافقاً في الأصل. وهذا ما يقودنا إلى البحث حول كفر إبليس ونفاقه.

أكان إبليس كافراً ومنافقاً في الأصل ؟

وهذا الموضوع أيضاً موضع خلاف بين العلماء:

---

(١) علل الشرائع: ٢/٢١٣ ـ البحار: ٦٠/٢٤٠ .
(٢) تفسير القمي: ٣٥ ـ علل الشرائع: ٢/٢١٢ ـ البحار: ٦٠/٢٤٠ و٢٧٥ .
(٣) البحار: ٦٠/٢٤٠ .
(٤) سفينة البحار: ١/١٠٢ .

* كان إبليس منافقا وكافراً في أثناء عبادته وقبل استكباره: يورد مؤيدو هذه النظرية عدداً من الدلائل إثباتاً لما ذهبوا إليه:

١ ـ المناظرة التي تمت بينِ إبليس والملائكة: بعد الأمر بالسجود لآدم وجواب الله تعالى بشأنها تُثبت أن إبليس كان على كفر ونفاق. ذكر هذه المناظرة محمد بن عبد الكريم الشهرستاني في مطلع كتابه «الملل والنحل» نقلاً عن «أزماري» ـ شارح الاناجيل الأربعة ـ والذي استقاها من التوراة، وأجراها بين إبليس والملائكة(١).

ومما يثبت أن إبليس ذو سابقة في الكفر قوله تعالى: ﴿**وكان من الكافرين**﴾(٢)، ومعناها الظاهري يؤيد كفره ونفاقه القديمين [ولم تكن عبادته إلا نوعاً من مجاراة الملائكة، وخوفاً من أن يُفتضح أمره، وهذا يؤيد نفاقه في أعماله.

٢ ـ دليل آخر على قدم كفرهِ ونفاقه: هو مسألة الموافاة. والموافاة ـ هنا ـ أداء المرء حقّه كاملاً، وهذه تؤيد عمق كفر إبليس وقدم نفاقه.

يقول الفخر الرازي حول هذا الموضوع: «الإيمان يوجب الثواب الدائم، والكفر يوجب العقاب الدائم، والجمع بين الثواب الدائم والعقاب الدائم محال، إذا آمن المرء متأخراً فسيقع في الكفر أو أنه يأتيه لكنه [يعني الثواب الدائم والعقاب الدائم] يظل الكفر يتبعه وهذا فرض مُحال. أو أن استحقاق العقاب ـ لكفره ـ يمحو استحقاق الثواب، وهذا الفرض محال أيضاً لأن الإعتقاد بالإحباط باطل.

---

(١) راجع هذه المناظرة اللطيفة في التفسير الكبير: ١/٢٣٦ و٢٣٧ ـ الجامع لأحكام القرآن: ١/٢٩٨. ولإختلاف التعبير أنظر: الملل والنحل: ١/١٦ ـ ١٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٤.

إن شرط الحصول على الايمان هو أن الفرد لن يبقى كافراً أبداً ، لكن إذا انتهت حياة الإنسان وكان في آخر حياته على الكفر نستنتج أنه لم يكن مؤمناً . ونحن نعلم أن خاتمة عمل إبليس كانت كفراً ، فعلينا أن نقول إنه لم يتحلَّ بالإيمان قط(١) .

* توجيهات متعلقة بقدم إيمان إبليس قبل الأمر بالسجود لآدم :

النظرية اوخرى أن إبليس كان مؤمناً ثم انجرف إلى الكفر . ومؤيدو هذه النظرية يفسرون قوله تعالى : **﴿وكان من الكافرين﴾** . ويبدون آراء متعددة بهذا الصدد :

ألف: إن الله كان يعلم منذ الأزل أن إبليس سيتحول إلى كافر [بمعنى أن علمَ الله يحدّد منذ بدء الخليقة أن إبليس سيغدو من زمرة الكافرين] .

باء: مع أن إبليس كان في وقت ما مؤمناً فإن هذا الإيمان كان مخلوطاً بالكفر. وبعد مضي هذا الزمان [وإن كان قصيراً] كان مناسباً أن يستخدم الفعل الماضي «كان» حول موضوع كفره(٢) .

جيم: «كان» بمعنى «صار» بمعنى أن إبليس مع أنه كان مؤمناً فإنه غدا فيما بعدُ كافراً بسبب استكباره ، كقوله تعالى : **﴿فكان من المغرقين﴾**(٣) . حول ابن نوح الذي لم يكن من الغرقى ، لكنه صار منهم حين رفض طاعة نوح(٤) .

---

(١) التبيان للطبرسي : ١/١٥٤ ـ التفسير الكبير: ١/٢٣٧ ـ مجمع البيان: ١/٨٣ ـ أنوار التنزيل: ١/١٤٢ . روح المعاني: ١/٢٠٣ و٢٣٢ ـ البحار: ٦٠/٣٠٩ و٣١٠ .

(٢) انظر المصادر السابقة مع صفحاتها .

(٣) سورة هود ، الآية: ٤٣ .

(٤) أنوار التنزيل: ١/١٤١ ، ١٤٢ ـ الكشاف: ٣/٣٨٢ ـ جامع البيان: ١/١٨١ ـ = .

دال: ﴿كان من الكافرين﴾ يعني أن الله سبَّب لإبليس الكفر باستكباره ليسلب منه إيمانه[1] .

رأي الشيعة حول قدم كفر إبليس:

وقد ذهب علماء الشيعة إلى الرأي الأول ، وهو أن إبليس كان من الأساس كافراً انسجاماً مع ظاهر الآية المباركة ، لأن تأويل (كان) بـ (صار) خروج على الظاهر من دون دليل . كما أن لازم القول بإيمانه ثم كفره هو الإحباط وهو باطل عندنا[2] .

كيفية نفوذ إبليس في الإنسان:

على حسب رأي من يعتقدون بجسمية إبليس والشياطين نقول: إن أجسامها لطيفة ورقيقة كي تتمكن من النفوذ في أعماق الأجرام المتراكمة . وإن روح حياة الإنسان جسم لطيف ، ولهذا يدخل في عمق بدن الإنسان . وكما أن النار تتسرب إلى الفحم ، وماء الورد يسري في ورق الورد ، وزيت السمسم في حب السمسم فإن الشيطان أيضاً يستطيع أن يشق طريقه في الإنسان . وهذا التوجيه أحد الأجوبة على كيفية نفوذ الشيطان في الإنسان . وكثيرة هي الروايات التي تؤيد هذا الرأي[3] .

= الجامع لأحكام القرآن: ١/٢٩٨ ـ روح المعاني: ١/٢٢٩ و٢٣١ ـ الكافي (أصول) ح: ٢٥٤٨ .

(١) الدر المنثور: ١/٥١ .

(٢) راجع روح الجنان: ١/٨٨/٨٩ .

(٣) راجع الدر المنثور: ١/٥١ ـ البرهان للبحراني: ١/٧٧ ـ وسفينة البحار: ١/١٠٠ ـ وانظر: البحار: ٦٠/٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٣٣١ ـ البرهان للبحراني: ١/٧٧ ، ٧٨ ـ عرائس المجالس: ٤١ ، المعجم المفهرس لفنسينك: ٣/١٢٩ ـ الميزان: ٨/٦٢ و٦٤ ـ دائرة معارف البستاني: ١/٣٣٩ ـ مفتاح كنوز السنة: ٩ .

كما أن الروايات التي تحكي قرائن نفوذ الشيطان ـ أنه خلق من نار والنار حمراء اللون ـ كثيرة بشكل عام[1] .

وكنا ذكرنا أن لإبليس أعواناً ومساعدين من الجن والإنس يختلفون عنه من ناحية النوع ، وإبليس يأمرهم كي يتدخّلوا ويتصرّفوا بالمسائل الدنيوية ، ويحوِّلوا الحق إلى الباطل ، ويزيِّنوا القبائح .

إبليس وأعوانه وأنصاره ينفذون في قلب الإنسان وبدنه وسائر حياته ـ كالأموال والأبناء وغير ذلك ـ ويتصرفون بهم بأشكال جماعية أو فردية ، بسرعة أو بتمهل ، بواسطة أو بدونها . أما الإنسان فإنه لا يحسٌّ بوجودهم ولا نفوذهم ، بل إنه لا يحسُّ إلا بنفسه ، ولا يرى غير عمله . ويحاول إبليس وهو يتدخل بأعماله في ذات الإنسان ألا يثيره ولا يشعره بوجوده ، حتى لا يُدرك أنه الذي يدفعه . والله تعالى بيَّن في القرآن الكريم أن إبليس من جنس الجن والجن خُلقت من نار . وكان حال إبليس في البدء مضطرباً [واضطر في النهاية إلى الفسق والتمرد][2] .

يستفاد من دراسات المفسرين والمحدثين حول إبليس أن ساحة عمل إبليس ونشاطه الإدراكُ الإنسانيُّ ، وسبيل عمله عواطفُ الإنسان وإحساساته الداخلية . وهذا الإبليس يُلقي الأوهام الجوفاء والأفكار الباطلة . في نفس الإنسان: ﴿**الـوَسْوَاسِ الخنَّاسِ الذي يُـوسْوِسُ في صُدورِ الناسِ**﴾[3] .

ومع ذلك فإن الإنسان لا يتردد بأن هذه الأفكار والأوهام ـ والتي

---

(١) راجع الكافي: ٢/٣٠٤ و٣٠٥ ـ الميزان: ٨/٦٤ [قسم الحديث الأول] ـ منية المريد ط بومباي: ١٥١ ـ البحار: ٦٠/٢٦٥ [مع تفاوت يسير] ـ كنز العمال: ٣/٥٢٣ .

(٢) الميزان: ٨/٤٤ .

(٣) سورة الناس ، الآية: ٤ ، والآية: ٥ .

اسمها الوسواس ـ إنما هي بنت أفكاره هو من غير أن يكون موجود آخر يثير فيه مكامن هذه الأفكار وهذه الأوهام ويحرِّكها . ولو أنه أدرك تدخل الشياطين في أفكاره لاستقلَّ عنها ولما قبل بها أصلاً . وإن تصرفات إبليس في الإنسان طويلة العهد . ولا يتنافى إقدام الانسان نفسه مع انتساب العمل إليه . بلى ، لو أن هذا التصرف والتدخل كان يجري بفعل إبليس في معرض تصرف الإنسان لما كنا نستطيع أن نقول إن هذا الإنسان قام بعمل كذا وكذا ، بمعنى أن عمل الإنسان أيضاً يضطرنا إلى رفض إسناده إليه(١) .

مسائل إبليسيَّة تستحق الدراسة :

إذا كان الله تعالى يعرف إبليس ويدرك ماهيتّه ، فلماذا خلقه ؟ لماذا وضع الله إبليس بين الملائكة ، مع أنه لم يكن منها ؟ وإذا كان الله يعلم أن من طبع إبليس أن يتمرَّد فلماذا أمره بالسجود ؟ لماذا لم يجعل إبليسَ ينصاع إلى أمر السجود ؟ لماذا منحه كل هذه القدر ة والنفوذ وسلطه على الإنسان ـ كجريان الدم في العروق ـ وجعل الإنسان ووجوده كله تحت تصرفه ؟ لماذا لم يفنه بعد إذ تمرَّد عليه وكفر بأمره ؟ لماذا يقوّي الله إبليس بالجنود فرساناً ومشاة ؟ لماذا لم يقوِّ الله الإنسان بقوَى وإمدادات مثل جنود إبليس ؟ لماذا لم يخفِ الله عن إبليس أسرار خلق آدم وأبنائه حتى لا يوقعه بأحبُل أغوائه ؟ كيف دخل إبليس الجنة ؟ ومع أن الجنة مقدسة وطاهرة فكيف سهَّل تسرُّب الوسوسة والكذب إليها ؟ إلى غير ذلك من التساؤلات التي تقضُّ مضاجع الإنسان ويحتاج إلى جواب شافٍ بشأنها .

وفي الحقيقة إن المفسرين والمحدِّثين ذكروا مثل هذه المسائل في

---

(١) الميزان: ٨/٤١ .

مؤلفاتهم . وبإمكان المرء أن يرجع إلى بعض المصادر ليرى بحوثاً شيقة حولها(١) .

الذين يعجز إبليس عن التدخل بشؤونهم :

قال الإمام الصادق عليه السلام : قال إبليس : لا أتمكن من التسلط على خمسة أنواع من الناس ، وفيما عدا ذلك الناس جميعاً في قبضتي ونفوذي . أما الذين أعجز عن التسلط عليهم والنفوذ إليهم فهم :

ـ الذي يتحلى بالنيَّة الصالحة ويتمسّك بالله ، ويتوكل عليه في كل شؤونه .

ـ الذي يُديم التسبيح وذكر الله ليلاً ونهاراً [والذي يُمضي أكثر ساعات يومه في التسبيح وتقديس الله ، ولا يغفل عنه] .

ـ من يختار الإيمان لنفسه كما يختاره لأخيه .

ـ من يصبر على المصيبة ـ التي تحلُّ به ـ فلا يشكو ولا يتألم .

ـ من يرضى بما قسمه له الله ، ولا يشتدُّ في طلب الدنيا ولا يتعلق بها ولا يهتم برزقه(٢) .

متاع نفوذ إبليس والراغبون فيه :

رأى عيسى إبليسَ ـ حين كان يحمل أطباقاً في طريقه وأحمالاً على ظهره ـ فسأله : ما هذه الأحمال ؟ فأجابه : بضاعة للتجارة أبحث عن مُشترٍ لها . فسأله : وما بضاعتك ؟ فقال : بعضها ظلم وجور . فسأله عيسى : ومن هم الذين يشترونها ؟ فقال : الملوك . وقال إبليس : وهذا تكبر وحسد وخيانة ومكر ، ومشترو وهذه البضاعة : المزارعون ،

---

(١) الميزان : ٨/٣٧ ـ ٤٤٤ .

(٢) الخصال ١/ ٢٨٥ ـ البحار : ٢٤٨/٦٠ نقلاً عن الكتاب نفسه ـ سفينة البحار : ١٠٠/١ .

والعلماء ، والتجار ، والنساء[1] .

لماذا ترفض أعمال المنكوبين بإبليس عند الله :

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: قال إبليس لجنوده: عندما استطيع أن اسيطر على ثلاثة أشياء في الإنسان فإنني لا أخاف بعدئذ من أعماله الحسنة ، لأن أعمالَه كلها ـ في هذه الحال ـ لا تُقبل عند الله :

١ ـ من كان عمله وسعيه كبيرين لكنه يشكُّ في تقدير الشكر .

٢ ـ من ينسى اخطاءه .

٣ ـ من يعشق الكبرياء ويتسلل العُجبُ إلى قلبه[2] .

لماذا عمد إبليس إلى الشر بعد الإستكبار :

نذكر بادىء ذي بدء أننا لا نعرف مخلوقاً عُجن الشر والباطل في وجوده ، وأجبر على الكفر ، وانغمس في الفسق مثل إبليس . وتدل الآية : ﴿ففسقَ عن أمر ربِّه﴾[3] . على أن إبليس دلَّ في اختياره الطاعة والعصيان على أنه من طائفة الجن ، وقسم من الجن مسلمون وقسم منحرفون متمردون كالناس ، بعضهم مؤمن وبعضهم كافر . وكنا ذكرنا قبلاً ـ بالإستناد إلى الآيات ـ هذا الأمر ، كما أن الروايات تؤيد طاعة إبليس في السابق (وإن كانت هذه الطاعة مربوطة بريائه ونفاقه) .

ونحن نعلم كذلك أن آدم وقع في المعصية حين تذوَّق الشجرة المنهيَّة ، وأن إبليس ارتكب المعصية حين تمرَّد واستكبر ورفض السجود لآدم ، وعلى هذا فلا بد لنا من أن ندعو الإثنين عاصيين . لكن علينا أن

---

(١) سفينة البحار: ١/١٠٠ .

(٢) الخصال: ١/١١٣ .

(٣) سورة الكهف ، الآية ٥٠ .

نذكر أن بين عصيان آدم وتمرد إبليس فرقاً واختلافاً ، لأن آدم [وحواءَ] بعد عصيانهما وهبوطهما من الجنة ندما وتابا . وقد قبل الله توبتهما ﴿ **فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم** ﴾[1] . ﴿ **قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننَّ من الخاسرين** ﴾[2]في حين أن إبليس ـ ليس فقط أنه لم يتُبْ ـ بل جدَّ في تمرده وأعلن اعتراضه صراحة ، لهذا غدا دائماً ملعوناً مطروداً محروماً من رحمة ربه ، وحريصاً على الشر والباطل ، والإغواء والاضلال . ومآلُ ذرية إبليس ـ وهم الشياطين والأتباع والمساعدون ـ الضلال والشر والإنحراف والسوء . وبما أن ذرية آدم تابت في النهاية فإنها خُيرت بين الخير والشر ، والطاعة والمعصية . في حين أن الملائكة لم تُقدم على المعصية قط ، ولم يصدر عنها سوى الطاعة والعبادة .

---

(١) سورة البقرة ، الآية: ٣٧ .

(٢) سورة الاعراف ، الآية: ٢٣ .

أمور كان ابليس مؤسِّسها

١ - **الإستكبار**: وهي المعصية الأولى . فقد جاء في روايات عديدة أن «أول معصية نجمت من الذات وانبعثت من الكبر كانت على يد إبليس . وكان الإستكبار أول معصية على أمر الله [بعد خلق آدم»[١] .

٢ - **القياس**: روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وبعض الأئمة عليهم السلام أن إبليس كان أول من أبدى رأيه في أمر الدين وسار على قياسه[٢] .

٣ - **الكفر**: روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أن «إبليس أول كافر وأول من رسَّخ الكفر» . كما روي هذا الكلام عن الإمام الصادق عليه السلام ، على أن الإمام زاد ووضح فقال: لم يكن كفر إبليس شركاً ، لأنه لم يكن يعبد غير الله ، لكنه دعا الناس فيما بعد إلى الشرك

---

(١) تفسير القمي: ٣٢ - البحار: ٢٧٤/٦٠ - الميزان: ٥٩/٨ ، ٦٠ نقلاً عن الكافي وتفسير القمي .

(٢) انظر المراجع تحت عنوان: إبليس هو أول مؤسس القياس الذي يأتي بعدُ .

ثم أشرك»(١) .

ـ ٤ ـ **اللواط**: سئل أمير المؤمنين عليه السلام حول اسم ابليس في السماء فقال: اسمه الحارث . كما أنهم سألوه عن أول من قام بعمل اللواط القبيح «عمل قوم لوط» . فقال: كان إبليس: وكان يقوم بنفسه بهذا العمل الشنيع. وروى الإمام عن الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله: «حين أصدر الله أمره بهبوط آدم اهبط معه زوجه، في حين أن إبليس لم يهبط معه زوج ، فكان أول اللوّاطين»(٢) .

٥ ـ **السِّحاق**: روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «. . . حين أدرك إبليس أن عمله [الإغواء باللواط] مشا بين الرجال اتجه نحو النساء وظهر لهنَّ بصورة امرأة وقال: أرِجالكنَّ يختلطون فيما بينهم [ملاعبة الجنس لجنسه] ؟ قلن: بلى ، رأيناهم ماذا يفعلون ، لقد نصحهم لوط عليه السلام وأوصاهم بتركه . فأغواهنَّ إبليس ليرتكبن هذه المعصية والتي هي السحاق فيما بينهن(٣) .

٦ ـ ٨ ـ **البكاء والنحيب ، والغناء ، والإنشاد**: روى جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «إبليس أول من بكى ونحب ، وأول من غنّى ، وأول من أنشد» . وقال: «حين ذاق آدم من الشجرة المنهية صاح إبليس ، وحين هبط آدم ، غنَّى إبليس ، وحين وصل إلى الأرض بكى ونحب على نعم الجنة [أسفاً] التي فقدها»(٤) .

٩ ـ **الحسد**: روى جنادة بن أمية: «أول ذة ومعصية عرفت كانت

---

(١) الكافي اوصول: ٣٨٤/٤ ـ البحار: ١٩٨/٦٠ ـ الميزان: ٥٩/٨ نقلاً عن تفسير العياشي .

(٢) علل الشرائع: ٢٤٣/٢ و٢٨١ و٢٨٣ ـ عيون أخبار الرضا: ١٣٤ و١٣٦ ـ البحار: ٢٤٦/٦٠ و٢٤٧ .

(٣) الكافي: ٥٤٤/٥ ـ البحار: ٢٧٨/٦٠ .

(٤) تفسير العياشي: ٤٠/١ و٢٧٦ ـ البحار: ١٩٩/٦٠ و٤١٩ .

الحسد، ذلك أن إبليس حين أمر بالسجود لآدم حسده، وهذا الحسد معصية [كان الإستكبار أول معصية]» . ولهذا روي عن الإمام الصادق عليه السلام أن «. . إبليس قال لنوح: إياك والحسد ، لأن الحسد كان دأبي . .» [وسبَّب هبوطي ولعني][1] .

١٠ ـ التعصب في غير محله: قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «. . كانت الحميَّة أمراً طارئاً على إبليس. . . ومعاداته لآدم من أصل خلقته . فإبليس عدو الله وزعيم المتعصبين وسلف المستكبرين . وإبليس واضع أساس العصبيَّة. .» ، قال الإمام الصادق عليه السلام: «. . كان الله يعلم أن إبليس لم يكن من الملائكة ، ووضَّح هذا حميَّته وعصبيته وغضبه التي كان يخفيها في نفسه. .»[2] .

---

(١) الدر المنثور: ١/٥١ ـ الخصال: ١/٥٠ ـ البحار: ٢٢٢/٦٠ و٢٨١ .
(٢) نهج البلاغة: ١٦٢/٤ ـ الكافي: ٣٠٨/٢ ـ تفسير العياشي: ٩/٢ ـ البحار: ٢٢٠/٦٠ ، ٢٥٩ .

ابليس أول مؤسس للقياس

قـال عيسى بن عبـد الله القـرشي: دخـل أبـو حنيفـة على الإمـام الصادق عليه السـلام فقال لـه الإمام: «أُخبـرتُ أنك تعمـل القياس [في الدين وأحكامه] ؟ أجاب: نعم ، إنني أقيس ، قال الإمام: لا تقسْ [في دين الله] لأن إبليس أول من قـاس ، فقد قـال [في سبب رفضه السجـود ورداً على أمر الله بالسجود]: «خلقتني من نار وخَلقته من طين» حيث أن إبليس بهذا الكلام قـاس بين النار والـطين والتراب . فلو قيسَت نـورانية آدم بضيـاء النـار لفـاقَ نـورُ آدم وصفـاؤه . بمعنى أن إبليس كـان يقيس الجوهر الذي خلق الله منه آدم بالنار ، وإن نور آدم وجوهره أقوى وأقـدر من النار[1] .

كـلام الإمام الصـادق عليه السـلام هـذا مقتبس من حـديث النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ومستلهم من قولـه: «أول من قاس أمـر الدين برأيه إبليس». وبعد ان روى الامام الصادق عليه السلام حديثه قال: «إن قاس أحد أمراً متعلقاً بالدين على حسب رأيـه جعله الله يوم القيـامة

---

(١) البـرهان: ٢/٤ ـ الكـافي (أصول ـ) ح ١٧٦ ـ تفسيـر القمي: ٣٢ ـ الخصال: ٦١٥/٢ ـ قصص الأنبيـاء لابن كثيـر: ٣٨/١ ـ الميـزان: ٥٩/٨ ـ البحـار: ١٩٨/٦٠ و٣٧٣ .

جليس إبليس لأنه تعلم منه القياس»[1] .

وورد في كتب التفسير والحديث وعن لسان آخرين أيضاً ما يدل على شهرته[2] .

جهل إبليس في هذا القياس وما يتبعه :

لقد وقع إبليس بقياسه بين النار والتراب والطين في عدة أمور كلها تدل على جهله ، هي :

ـ اعترض ـ في البدء ـ على أمر الله ، وهذا يعدُّ كفراً بلا شك [وجهل في أصل الكفر أيضاً] .

ـ اعتقد أن الله يأمره بما يطابق هواه ورغبته ورأيه الضعيف وهو القياس .

ـ استدلَّ أن الله خلقه من مادّة ذات مزيَّة ، وهذا وحده كاف ليُظهر جهل إبليس :

ألف: لا يمكن إثبات أفضلية مادة على أخرى بالبرهان والقياس .

باء: إن بعض المواد والأشياء غالية وعلى حسب اصلها حقيرة وتافهة كالمسك الذي يستخرج من صرَّة الغزال ، والماس الذي يستخرج من داخل الفحم .

جيم: خلقت الملائكة من نور في حين أن إبليس خلق من نار ذات لهب حارق وملوث بالدخان ، ومتصف بالإضطراب . والنور من غير شك أفضل من النار ، لأن النار مخلوط بالدخان والأذى .

---

(١) الدر المنثور: ٧٢/٣ ـ المنار: ٣٣١/٨ ـ الميزان: ٥٩/٨ .
(٢) راجع: المنار ٣٣١/٨٠ ـ قصص الأنبياء لابن كثير: ٣٩/١ ـ الجامع لاحكام القرآن: ١٧١/١ .

فمع أن الملائكة خلقت من النور وهو العنصر الأفضل والأكثر اعتباراً فإنها امتثلت لأمر ربها بكل تواضع وسجدت ، في حين أن إبليس الذي خُلق من عنصر أقل قيمة ومؤذٍ ـ وأكثر تقديراً بوقوفه أمام آدم ـ كان يجدر به أن يمتثل لأمر الله ويسجد . ءلا أن إبليس كان يستحق التوبيخ ﴿أولى لك فأولى﴾ (١) .

ـ وإضافة إلى هذا نحن لا نستطيع أن نقبل أن النار أفضل من التراب والطين ، لأن جميع الموجودات الحية النباتي منها والحيواني على وجه الأرض ـ بواسطةٍ أو من غير واسطة ـ إنما خلقت من التراب ، في حين أن النار افتقدت هذه المزية .

غفل إبليس عن المزية التي منحها الله آدم حين خلقه بيده وقدرته ، وجهلَ أنه نفخ فيه من روحه ، وأنه خلق في آدم استعداداً علمياً وعملياً يفوق ما عند سائر المخلوقات . وهو حين أمر الملائكة بأن تسجد لآدم إنما منحها بذلك شرفاً وكرامة ، وهذا يعني أنه اعتبر آدم أفضلَ من الملائكة . ومما لا شك فيه أن عنصر خلق الملائكة أفضل من عنصر خلق إبليس ، وبالتالي هي أكثر طاعة من إبليس .

ويورد القرطبي أدلة أخرى على جهل قياس إبليس ووهَنه ويقول: قال الحكماء:

ـ إن في عنصر التراب والطين رزانة وهدوءاً ووقاراً وسكوناً ، لذا فإن آدم بعد أن عصى ربه تاب وتواضع وتضرع . وفي النار خفّة وحدّة واضطراب وهذا ما جعل إبليس يثور ويتمرد ويستكبر .

ـ نرى في الأحاديث أن تراب الجنة من المسك الأذفر ، في حين أن الأخبار لم تذكر قط وجود نار في الجنة .

---

(١) سورة القيامة ، الآية: ٣٤ .

ـ عرّف الله النار بأنها وسيلة للعذاب ، في حين أنه لم يذكر التراب أداة للتعذيب .

ـ التراب لا يحتاج إلى النار ، في حين أن النار محتاجة إلى مكان ، وهذا المكان من تراب .

لذا قال ابن عباس: كان أولى بإبليس أن يطيع من أن يقيس ، لكنه شغل بقياس الكلام ، فكان أول موجود قاس بحسب فكره .

قال البيضاوي: إبليس واضع أساس الكبر والإستبداد والإعتماد على الرأي الشخصي .

ـ اقتبس الاغنياء الغارقون بالمجون والسرور القياسَ من إبليس ، فكما أن إبليس تباهى بأصله ومبدإ خلقه وفضّل نفسه على آدم فإن المترفين يتباهَون بأموالهم وأولادهم ويُحسُّون بالكبرياء[1] ويقولون: ﴿نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحنُ بمعذبين﴾[2] .

---

(١) انظر: مجمع البيان: ٢/٤٠٢ ـ المنار: ٨/٣٣٠ ، ٣٣٢ ـ قصص الأنبياء لابن كثير: ١/٣٩ ـ الجامع لأحكام القرآن: ٧/١٧١ ـ أنوار التنزيل: ٣/٤ ـ نهج البلاغة شرح محمد عبده: ٢/١٦٢ ، ١٧٤ و١٧٥ .

(٢) سورة سبأ ، الآية: ٣٥ .

أعمال ابليس : الشيطان

نعلم أن الشيطان (والشياطين) في القرآن والحديث مرادف لإبليس (والأبالسة) . وقد ذكرت أعمال إبليس وحرفه في القرآن والحديث وبعض الكتب السماوية بأشكال مختلفة . ونذكر فيما يلي نماذج من هذه الأعمال مع بعض الآيات القرآنية مستنداً لما نذكر:

ـ العداء للإنسان :

﴿يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدوٌ مبين﴾[1] ﴿ومن الأنعام حمولةً وفرشاً كلوا ممَّا رزقكمُ الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدوٌّ مبينٌ﴾[2] .

﴿فدلَّاهما بغرورٍ فلمَّا ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربُّهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدوٌّ مبين﴾[3] . وآيات أخرى كثيرة ، وكلها تؤكد صراحةً عداوة إبليس والشيطان للإنسان .

ـ الإغراء نحو الأمور السيئة والقبيحة والكذب على الله :

---

(١) سورة البقرة ، الآية: ١٦٨ .

(٢) سورة الأنعام ، الآية: ١٤٢ .

(٣) سورة الأعراف ، الآية: ٢٢ .

﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم﴾[1] وغيرها من الآيات .

ـ إخافة أولياء الله :

﴿فبما رحمةٍ من الله لنت لهم ولو كنت فظّاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعفُ عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر﴾[2] .

ـ المواعيد الكاذبة والخادعة :

﴿يعدهم ويمنّيهم وما يعدهم الشيطان إلاّ غروراً﴾[3] .

﴿وعدهم وما يعدهم الشيطان إلاّ غرورا﴾[4] وغيرهما .

ـ خلق العداء وإيجاد الضغينة بين الناس عن طريق الخمر والقمار :

﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيّن لكم على فترة من الرُّسل أن تقولوا ما جاءنا من بشيرٍ ولا نذيرٍ فقد جاءكم بشيرٌ ونذيرٌ والله على كلِّ شيءٍ قديرٌ﴾[5] .

ـ الاستعداد لايجاد العداوة ضد الأنبياء :

﴿وكذلك جعلنا لكلِّ نبيٍّ عدوّاً شياطين الإنس والجنّ يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربُّك ما فعلوه فذرهم وما يفترون﴾[6] .

ـ منع ذكر الله والصلاة : ﴿يا أهل الكتاب . . . ﴾[7] .

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٩٩ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٥٩ .

(٣) سورة النساء ، الآية : ١٢٠ .

(٤) سورة الاسراء ، الآية : ٦٤ .

(٥) سورة المائدة ، الآية : ١٩ .

(٦) سورة الأنعام ، الآية : ١١٢ .

(٧) سورة المائدة ، الآية : ١٩ .

ـ إغواء آدم وبنيه والوسوسة بينهم لحرمانهم من السعادة والجنة:

﴿يا بني آدم لا يفتننَّكمُ الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما﴾[1] .

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرَّسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون﴾[2]﴿فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلُّك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾[3] .

﴿فأزلَّهما الشيطان عنها فأخرجهما ممَّا كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقرٌّ ومتاعٌ إلى حين﴾[4] .

ـ الخلف بالوعد: ﴿وقال إني بريء منكم إني أرىٰ ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب﴾[5] .

﴿وقال الشيطان لما قضي الأمر إنَّ الله وعدكم وعد الحقّ ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلاّ أن دعوتكم فاستجبتم لي﴾[6] .

﴿كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلمَّا كفر قال إني بريء منك إني اخاف الله ربَّ العالمين﴾[7] .

ـ تزيين الأعمال السيئة والحث عليها: ﴿وإذ زيَّن لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جارٌ لكم فلمَّا تراءت

---

(١) سورة الاعراف ، الآية: ٢٧ .
(٢) سورة الأنفال ، الآية: ٢٧ .
(٣) سورة طه ، الآية: ١٢٠ .
(٤) سورة البقرة ، الآية: ٣٦ .
(٥) سورة الأنفال ، الآية: ٤٨ .
(٦) سورة إبراهيم ، الآية: ٢٢ .
(٧) سورة الحشر ، الآية: ١٦ .

الفئتان نكص على عقبيه﴾(١) .

﴿ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أنّ لهمُ الحُسنى لا جرم أنّ لهم النار وأنّهم مفرطون﴾(٢) .

﴿إنَّ الَّذين ارتدُّوا على أدبارهم من بعدما تبيَّن لهمُ الهدى الشيطان سوَّل لهم وأملىٰ لهم﴾(٣) .

ـ ايجاد النسيان لذكر الله : ﴿قالت فذالكنَّ الذي لمتنّني فيه ولقد راودته عن نفسه ، فاستعصم ولئن لم يفعل ماآمرُهُ ليسجننَّ وليكونن من الصّاغرين﴾(٤)﴿استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إنَّ حزب الشيطان هم الخاسرون﴾(٥) .

ـ الحث على الإسراف والتبذير ﴿إنَّ المبذِّرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربّه كفوراً﴾(٦) .

ـ اللواطة(٧) .

ـ تنمية الآمال المستحيلة في نفوس الناس:

﴿ولأضلَّنّهم ولأمنّينّهم ولآمرنّهم فليبتّكنَّ آذان الأنعام ولآمرنّهم فليغيّرنّ خلق الله ومن يتّخذ الشيطان وليّاً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً﴾(٨) .

---

(١) سورة الأنفال ، الآية: ٤٨ .
(٢) سورة النحل ، الآية: ٦٢ .
(٣) سورة محمد ، الآية: ٢٥ .
(٤) سورة يوسف ،الآية : ٣٢ .
(٥) سورة المجادلة ، الآية: ١٩ .
(٦) سورة الإسراء ، الآية: ٢٧ .
(٧) انظر حديثنا عنها قبل صفحات .
(٨) سورة النساء ، الآية: ١١٩ .

ـ اشغال الناس عن أوامر الله ودينه وخلق البلبلة في نفوسهم: ﴿ولاضلنهم . . ﴾[1] .

ـ تعليم السحر للناس:

﴿ولكن الشياطين كفروا يعلّمون الناس السحر . . . ويتعلمون ما يضرّهم ولا ينفعهم﴾[2] .

ـ إطماع الناس للوقوع في الزلل:

﴿وكلاًّ ضربنا له الأمثال وكلاًّ تبَّرنا تتبيراً﴾[3] .

ـ مجالسة الذين نسوا الله:

﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنَّني برآءٌ مما تعبدون﴾[4] .

ـ تسليط أعوانه وتقويتهم:

﴿إنما سلطانه على الذين يتولَّونه والذين هم به مشركون﴾[5] .

ـ ارشاد الناس إلى عذاب جهنم:

﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علمٍ ويتبِّع كلّ شيطان مَّريد * كتب عليه أنه من تولّاه فأنَّه يضلُّه ويهديه إلى عذاب السَّعير﴾[6] .

﴿إن الشيطان لكم عدوٌّ فاتّخذوه عدوّاً إنما يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب السعير﴾[7] .

(١) سورة النساء ، الآية ١١٩ .
(٢) سورة البقرة ، الآية: ١٠٢ .
(٣) سورة الفرقان ، الآية: ٣٩ .
(٤) سورة الزخرف ، الآية: ٢٦ .
(٥) سورة النحل ، الآية: ١٠٠ .
(٦) سورة الحج ، الآية: ٣ ، والآية: ٤ .
(٧) سورة فاطر ، الآية: ٦ .

ـ العصيان لله :

﴿يا أبتِ لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمٰن عصيّاً﴾[1] .

ـ الإستكبار[2] .

ـ إثارة الفساد بين الناس :

﴿وجاء بكم من البدوِ من بعد أن نّزغ الشيطان بيني وبين إخوتي إن ربّي لطيف لمّا يشاء إنه هو العليم الحكيم﴾[3] .

﴿إن الشيطان ينزغُ بينهم إنَّ الشيطان كان للإنسان عدوّاً مبيناً﴾[4] ، وآيات أخر .

ـ مرافقة الكاذبين والخاطئين :

﴿قالوا أنؤمنُ لك واتبّعك الأرذلون . قال وما علمي بما كانوا يعملون﴾[5] .

ـ الحسد[6] .

ـ تزيين سوء الظن للناس :

﴿ولقد صدَّق عليهم إبليس ظنَّه فاتَّبعوه إلاَّ فريقاً من المؤمنين﴾[7] .

---

(١) سورة مريم ، الآية: ٤٤ .
(٢) أنظر ذيل هذا الموضوع قبل صفحات .
(٣) سورة يوسف ، الآية: ١٠٠ .
(٤) سورة الإسراء ، الآية: ٥٣ .
(٥) سورة الشعراء ، الآيتين: ١١ و١٢ .
(٦) انظر ذيل هذا الموضوع قبل صفحات .
(٧) سورة سبأ ، الآية: ٢٠ .

ـ الغوص والبناء: النزول في البحر لإستخراج الجواهر[1] .

ـ الصناعات والإختراعات العجيبة: صناعة المعابد ، ونحت التماثيل ، وصناعة القداح والقدور الثابتة .

﴿يعملون له ما يشاء من مَّحاريب وتماثيل وجفانٍ كالجواب وقدورٍ رَّاسياتٍ﴾[2] واختراع الحمّام . والنورة ، وطواحين الماء ، والأمواس ، والصابون[3] . . على أن بعضاً من هذه الحرف يقوم به الانسان .

ـ العواصف من شتّى أطراف الإنسان:

﴿ثم لأتينَّهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين * قال اخرج منها مذءوماً مدحوراً لمن تبعك منهم لأملأنَّ جهنم منكم أجمعين﴾[4] **﴿قال ربّ بما أغويتني لأزيننَّ لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين﴾**[5] .

ـ تعليم الوسوسة والتزيين بين بعضهم بعضاً:

﴿وكذلك جعلنا لكل نبيٍّ عدوّاً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون﴾[6] .

ـ الإختفاء بعد الظهور:

---

(١) البحار: ١٦٨/٦٠ .
(٢) سورة سبأ ، الآية: ١٣ .
(٣) البحار: ١٨١/٦٠ .
(٤) سورة الأعراف ، الآيتين: ١٧/و١٨ .
(٥) سورة الحجر . الآية: ٣٩ .
(٦) سورة الأنعام ، الآية: ١١٢ .

﴿من شر الوسواس الخنّاس﴾[1] .

ـ إنقباض النفس في اثناء ذكر الله وانشراحها في غير ذلك: الخناس على حسب بعض التفاسير[2] .

ـ استفزاز الناس بالصياح والهجوم بالأصحاب الفرسان والمشاة والمشاركة في الاموال والأولاد :

﴿واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد﴾[3] .

ـ تعليم أعوانه الوسوسة والفساد لإيجاد الخصومة بين المؤمنين:

﴿ولا تأكلوا ممّا لم يذكر اسم الله عليه وإنّه لفسق وإنّ الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم أنّكم لمشركون﴾[4] .

ـ الإحتكاك بالإنسان والتأثير فيه ، وإيصاله إلى مرحلة الجنون في النهاية: **﴿الّذين يأكلون الرّبا لا يقومون إلاّ كما يقوم الّذي يتخبطه الشيطان من المس﴾**[5] .

---

(١) سورة الناس ، الآية: ٤ . انظر البحار: ١٩٤/٦٠ ومجمع البيان: ٥٧٠/١٠ .

(٢) نفس الآية من سورة الناس ، وانظر مجمع البيان: ٥٧١/١٠ ـ البحار: ١٩٤/٦٠ .

(٣) سورة الاسراء الآية: ٦٤ .

(٤) سورة الأنعام الآية: ١٢١ .

(٥) سورة البقرة ، الآية: ٢٧٥ .

أحبُّ الأشياء إلى إبليس

يميل إبليس إلى كل ما هو قبيح ومرذول ، لكن قلبه متعلق بأمور معينة أكثر من غيرها ، من ذلك :

١ ـ **اللواط والسحاق** : «سأل سيدنا سليمانُ الشيطان : ما الشيء المحبوب له أكثر ومبغوض عند الله أكثر ؟ أجاب : اختلاط الرجال بالرجال والنساء بالنساء . . .»[١] .

٢ ـ **موت الفقيه ورجل الدين** : قال الإمام الصادق عليه السلام : «لا أحبَّ في نظر إبليس من موت الفقيه»[٢] .

٣ ـ **قهر المؤمنين وإبعاد بعضهم عن بعضهم الآخر** :

روى أبو بصير عن الإمام الصادق عليه السلام : «إبليس يكون سعيدا وراضيا ما دام المسلم بعيدا عن أخيه المسلم» .

٤ ـ **النساء أو نور عين إبليس** : في الحوار الذي جرى بين النبي يحيى وإبليس ، من ذلك ما قاله يحيى لإبليس : ما الشيء الذي يزيد

---

(١) أعلام القرآن ٨١ .

(٢) (الكافي ـ الأصول) ط الإسلامية : ١/٤٦ ـ منية المريد ، ط بومباي : ١٨٤ ـ سفينة البحار ١/٩٩ .

من بـريق عينيك ؟ قـال: النساء ، لأنهن أَحْبُلي وشبـاك صيدي ، فحين يباشر الصـالحون بـأدعيتهم ، ويهاجمـونني بأدعيتهم ألجـأ إلى النساء ، فقلبي يُفعم بالسرور بشراكي لأنني استطيع إغواء الـرجال بهن وأجعلهـم ينحرفون (١) .

ما يؤلم إبليس جداً:

كما أن هناك أموراً يريدها إبليس وتسعده ، فإن هناك أموراً تؤلمـه وتقهره ، لكن بعض الأعمال الطيبة والمقبولة تؤلمه جداً . وممـا يزعجـه ويقلقه أكثر:

١ ـ ذكر اسم الله ـ البسملة : يـرتجف إبليس من «بسم الله الرحمٰن الرحيم» ، قال الإمام الصادق عليه السلام: «حين مواقعة الرجل لـزوجته يحضـر الشيطان بينهمـا ، فإن ذكـر الرجـل اسم الله هـرب الشيـطان من مكـانه . .» . وقـال أيضـاً: «حين تجلس إلى الأرض لتتنـاول غـداءك أو عشاءك قل بسم الله لأن الشيطان حين تذكر اسم الله على لسانك يقول لأصـحـابـه: اخــرجــوا ، فليس لـنــا في الـطعـام ولا فـي الـنــوم نصيب . . . »(٢) .

٢ ـ السجدة وإطالتهـا: جاء في الحـديث أن الإمام عليـه السلام قـال: «أطل سجـدتك ، فـلا شيء أقسى على إبليس وأصعب من رؤيـة ابن آدم في حال سجوده ، لانه كان مأموراً بالسجود لآدم لكنه تمرَّد على أمـر الله ، وهذا ابن آدم مـأمور بـالسجـود ومنقـذ لهـذا الأمـر وقـد ظفـر بالنجاة» .

٣ ـ ذكر فضيلة أهل البيت في أثناء ذكر الله: «إذا التقى مؤمنان أو زار أحـدهمـا الآخـر وردَّدا على ألسنتهمـا ذكــر الله وفضيلة أهـل البيت

(١) سفينة البحار: ١/١٠١ .

(٢) تهذيب الأحكام: ٤٠٧/٧ ـ المحاسن: ٤٣٢ ـ البحار: ٢٠٢/٦٠ ، ٢٠٣ .

عليهم السلام لا يجد إبليس مكاناً له بينهما ويسقط لحم وجهه ، وتعتريه قشعريرة وترتعد أنفاسه حتى ليستنجدُ ويستغيث»[1] .

٤ ـ وجود المصحف في المنزل أو تلاوته: قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «المنزل الذي يُتلى فيه القرآن ويُذكر فيه اسمُ الله تزداد بركته وتحضره الملائكة وتهجره الشياطين. . .» .

ويقول الإمام الباقر عليه السلام: «حينما أرى مصحفا في المنزل فإنني أطمئن إلى أن الشيطان مطرود منه للبركة في هذا المصنحف» . وكذلك الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قال: «تلاوة القرآن تبعد الشيطان»[2] .

٥ ـ الأذان للصلاة: «إن إقامة الصلاة والأذان لها من الأمور التي تطرد الشيطان»[3] .

٦ ـ الشهادة: شهادة الإنسان في سبيل الله من الأمور العسيرة التي تُذهل إبليس . ولقد رُوي «أن رجلاً كان يلعن إبليس ألف مرة كل يوم ، وفي أحد الأيام جاءه آتٍ في أثناء نومه وأيقظه وقال له: انهض فالجدار يريد أن ينقضّ ، فقال: من أنت حتى تتألم لحالي ؟ أجابه: أنا إبليس . فقال له: مع أنني ألعنُك كل يوم ألف مرة تأتيني متألماً لحالي ؟ لماذا ؟ أجابه إبليس: لأنني علمتُ مقام الشهداء عند الله ، فخفت بهدم الجدار عليك أن تُعدّ من زمرتهم وتبلغ مرتبة الشهداء

---

(١) سفينة البحار: ١/ ٩ .

(٢) الكافي: ٢/ ٤٤٦ ـ ثواب الأعمال: ٩٣ ـ مسند أحمد: ٢/ ٤٤٣ ـ سنن الدارمي: ك ٢٣ ب ١٤ ـ صحيح مسلم ك ٦ ح ٢١٢ نقلاً عن فتاح كنوز السنة: ٩» ـ القرآن في أحاديث الرسول وأهل بيته: ٩٢ . وفي هذا الكتاب أيضاً نرى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «لا أصعب ولا آلمَ لإبليس من قراءة القرآن من المصحف» .

(٣) مفتاح كنوز السنة: ٨ و٣١ .

العالية»[1] . ذلك أن المهدوم عليه ، والغريق ، وموت المرأة في حال المخاض يعتبرون بمنزلة الشهداء[2] .

٧ ـ **مصالحة المؤمنين بعضهم بعضاً:** قال الإمام الصادق عليه السلام: «. . . حين يلتقي أخوان مؤمنان ويجدِّدان المحبة بينهما ويصطلحان ترتجف ركبتا إبليس وينهار فلا يستطيع الإستقرار في مكانه وتتقطع مفاصله وعروقه . فيصرخ: واويلتاه على حظي التعس !»[3] .

٨ ـ **الإحسان إلى مُحبي أهل البيت عليهم السلام:** قال الامام الصادق عليه السلام لإسحاق بن عمار : يا إسحاق ! احسن إلى محبِّيَّ ما استطعت ، فما احسن مؤمن لمؤمن وأعانه إلا تخرَّش وجه إبليس وجرح فؤاده[4] .

---

(١) عرائس المجالس: ٤٣ .

(٢) سفينة البحار: ١/ ٧٢٠ .

(٣) الكافي: ٤٦ ـ منية المريد: ٨١٥٥

(٤) سفينة البحار: ١/ ١٠٠ .

ابليس وشجرة العنب

عن عليّ بن محمد ، عن صالح بن أبي حمّاد ، عن الحسين بن يزيد ، عن الحسن بن عليّ بن أبي حمزة عن إبراهيم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى لمّا اهبط آدم عليه السلام أمره بالحرث والزرع ، وطرح إليه غرساً من غروس الجنّة ، فأعطاه النخل والعنب والزيتون والرمّان ، فغرسها لتكون لعقبه وذريّته ، فأكل هو من ثمارها ، فقال له إبليس لعنه الله : يا آدم ما هذا الغرس الذي لم أكن أعرفه في الأرض وقد كنت بها قبلك ؟ إئذن لي آكل منه شيئاً ، فأبى أن يطعمه ، فجاء عند آخر عمر آدم فقال لحوّاء: إنّه قد أجهدني الجوع والعطش ، فقالت له حوّاء عليها السلام: إن آدم عهد إليَّ أن لا أطعمك شيئاً من هذا الغرس لأنّه من الجنة ، ولا ينبغي لك أن تأكل منه ، فقال لها: فاعصري في كفّي منه شيئاً فأبت عليه ، فقال: ذريني أمصّه ولا آكله ، فأخذت عنقوداً من عنب فأعطته فمصّه ولم يأكل منه شيئاً ، لما كانت حوّاء قد أكّدت عليه ، فلمّا ذهب يعضه جذبته حوّاء من فيه ، فأوحى الله عزّ وجلَّ إلى آدم عليه السلام: إنّ العنب قد مصّه عدويّ وعدوّك إبليس لعنه الله ، وقد حرّمت عليك من عصيره الخمر ما خالطه نفس إبليس ، فحرّمت الخمر لأنّ عدوّ الله إبليس مكر بحوّاء حتّى مصّ

العنبة ، ولو أكلها لحرمت الكرمة من أوّلها إلى آخرها ، وجميع ثمارها وما يأكل منها .

ثمّ إنّه قال لحوّاء عليها السلام: فلو أمصصتني شيئاً من هذا التمر كما أمصصتني من العنب ، فأعطته تمرة فمصّها ، وكانت العنبة والتمر أشدَّ رائحة وأزكى من المسك الأذفر وأحلى من العسل ، فلمّا مصّهما عدوّ الله ذهبت رائحتهما وانتقصت حلاوتهما .

قال أبو عبد الله عليه السلام: ثمّ إنَّ إبليس الملعون ذهب بعد وفاة آدم عليه السلام فبال في أصل الكرمة والنخلة ، فجرى الماء في عروقهما ببول عدوّ الله ، فمن ثمَّ يختمر العنب والتمر ، فحرَّم الله عزّ وجلّ على ذريّة آدم كلّ مسكر ، لأنّ الماء جرى ببول عدوّ الله في النخلة والعنب ، وصار كلّ مختمر خمراً لأنّ الماء اختمر في النخلة والكرمة من رائحة بول عدوّ الله ابليس لعنه الله(١) .

فمن ثمَّ يختمر العنب: أي يغلي وينتن ويصير مسكراً . قوله عليه السلام: لأنّ الماء اختمر في النخلة ، أي غلى وتغيّر وأنتن من رائحة بول عدوّ الله .

قال الفيروز آبباديّ: الخمر بالتحريك: التغيّر عمّا كان عليه ، وقال: اختمار الخمر: إدراكها وغليانها انتهى .

ويحتمل أن يكون المراد باختمار العنب والتمر: تغطية أوانيهما ليصيرا خمراً وكذا اختمار الماء المراد به احتباسه في السجرة لكنّه بعيد .

---

(١) بحار الأنوار ، ج ٦٠ ، باب ذكر إبليس وقصصه ، ص ٢١٠ ـ ٢١١ .

مناظرة ابليس مع الملائكة

قال في روح المعاني: وقد ذكر الشهرستاني عن شارح الأناجيل الأربعة صورة مناظرة جرت بين الملائكة وبين إبليس بعد هذه الحادثة، وقد ذكرت في التوراة، وهي أن اللعين قال للملائكة: إني أُسلّم أن لي إلهاً هو خالقي وموجدي لكن لي على حكمه أسئلة:

الأول: ما الحكمة في الخلق لا سيما وقد كان عالماً أن الكافر لا يستوجب عند خلقه إلا النار؟.

الثاني: ما الفائدة في التكليف مع أنه لا يعود إليه منه نفع ولا ضرر، وكل ما يعود إلى المكلفين فهو قادر على تحصيله لهم من غير واسطة التكليف؟

الثالث: هب إنه كلفني بمعرفته وطاعته فلماذا كلفني بالسجود لآدم؟.

الرابع: لمّا عصيته في ترك السجود فلمَ لعنني وأوجب عقابي مع أنه لا فائدة له ولا لغيره فيه ولي فيه أعظم الضرر؟.

الخامس: أنه لما فعل ذلك لِمَ سلطني على أولاده ومكنني من إغوائهم وإضلالهم؟.

السادس: لما استمهلته المدة الطويلة في ذلك فلِمَ أمهلني ومعلوم أنه لو كان العالم خالياً من الشر لكان ذلك خيراً ؟ .

قال شارح الأناجيل: فأوحى الله تعالى إليه من سرادق العظمة والكبرياء: يا إبليس أنت ما عرفتني ، ولو عرفتني لعلمت أنه لا اعتراض علي في شيء من أفعالي فإني أنا الله لا إله إلا أنا لا أُسأل عما أفعل ، (انتهى) .

ثم قال الآلوسي: قال الإمام ـ الرازي ـ إنه لو اجتمع الأولون والآخرون من الخلائق وحكموا بتحسين العقل وتقبيحه لم يجدوا من هذه الشبهات . مخلصاً ، وكان الكل لازماً .

ثم قال الآلوسي: ويعجبني ما يحكى أن سيف الدولة بن حمدان خرج يوماً على جماعته فقال: قد عملت بيتاً ما أحسب أن أحداً يعمل له ثانياً إلا أن كان أبا فراس وكان أبو فراس جالساً ، فقيل له: ما هو؟ فقال قولي:

لك جسمي تعلّه فدمي لن تطلّه

فابتدر أبو فراس قائلاً:

قال إن كنت مالكاً فلي الأمر كلّه

انتهى

أقول: ما مر من البيان في أول الكلام السابق يصلح لدفع هذه الشبهات الستة عن آخرها ويكفي مؤنتها من غير أن يحتاج إلى اجتماع الأولين والآخرين ثم لا ينفعهم اجتماعهم على ما ادعاه الإمام فليست بذاك الذي يحسب ، لتوضيح الأمر نقول:

أما الشبهة الاولى: فالمراد بالحكمة ـ وهي جهة الخير والصلاح الذي يدعو الفاعل إلى الفعل في الخلق إما الحكمة في مطلق الخلق

وهـو ما سـوى الله سبحانـه من العالم ، وإمـا الحكمة في خلق الإنسـان خاصة .

فـإن كـان سؤالاً عن الحكمــة في مـطلق الخلق والإيجــاد فمن المبـرهن عليه أنـه فاعـل تام لمجمـوع ما سـواه غير مفتقـر في ذلك إلى متمم يتمم فاعليته ويصلح له ألوهيته فهـو مبدء لمـا سواه منبـع لكل خيـر ورحمة بذاتـه ، واقتضاء المبـدء لما هـو مبدء لـه ضروري ، والسؤال عن الضروري لغو كما أن ملكة الجود تقتضي بذاتهـا أن ينتشر أثرها وتـظهر بركاتها لا لاستدعاء أمر آخـر وراء نفسها يـوجب لها ظهـور الأثر وإلا لم تكن ملكـة ، فظهـور أثرهـا ضروري لهـا وهو أن يتنعم بهـا كل مستحق على حسب استعـداده واستحقـاقــه ، واختـلاف المستحقين في النيــل بحسب اختلاف استحقاقهم أمر عائد إليهم لا إلى الملكة التي هي مبدء الخير .

واما حديث الحكمة في الخلق والإيجاد بمعنى الغاية وجهـة الخير المقصودة للفاعل في فعله فإنما يحكم العقل بوجوب الغاية الـزائدة على الفـاعل في الفـاعل النـاقص الذي يستكمـل بفعله ويكتسب به تمـاما كـمالا ، وأما الفاعل الذي عنده كل خير وكمال فغايتـه نفس ذاته من غيـر حاجة إلى غاية زائدة كما عرفت في مثال ملكة الجود ، نعم يتـرتب على فعله فوائد ومنافع كثيرة لا تحصى ونعم إلهية لا تنقطع وهي غير مقصودة إلا ثانياً وبالعرض ، هذا في أصل الإيجاد .

وإن كان السؤال عن الحكمة في خلق الإنسان كما يشعـر به قـوله بعد: لا سيما وقد كان عالماً أن الكـافر لا يستـوجب عند خلقـه إلا النار فالحكمة بمعنى غاية الفاعل والفائدة العائدة إليه غير مـوجودة لمـا عرفت أنه تعالى غني بذاته لا يفتقر إلى شيء مما سواه حتى يتم أو يكمل به ، وأمـا الحكمـة بمعنى الغـاية الكمـالية التي ينتمي إليهـا الفعـل وتحـرز فائدتـه فهو أن يخلق من المـادةالارضيـة الخسيسـة تركيب خـاص ينتهي

بسلوكه في مسلك الكمال إلى جوهر علوي شريف كريم يفوق بكمال وجوده كل موجود سواه ، ويتقرب إلى ربه تقرباً كمالياً لا يناله شيء غيره فهذه غاية النوعية الإنسانية .

غير أن المعلوم أن مركباً أرضياً مؤلفاً من الأضداد واقعاً في عالم التزاحم والتنافي محفوفاً بعلل وأسباب موافقة ومخالفة لا ينجو منها بكله ، ولا يخلص من إفسادها بآثارها المنافية جميع أفراده فلا محالة لا يفوز بالسعادة المطلوبة منه إلا بعض أفراده ، ولا ينجح في سلوكه نحو الكمال إلا شطر من مصاديقه لا جميعها .

وليست هذه الخصيصة أعني فوز البعض بالكمال والسعادة وحرمان البعض مما يختص به الإنسان بل جميع الانواع المتعلقة الوجود بالمادة الموجودة في هذه النشأة كأنواع الحيوان والنبات وجميع التركيبات المعدنية وغيرها كذلك فشيء من هذه الأنواع الموجودة . وهي أُلوف وأُلوف ـ لا يخلو عن غاية نوعية هي كمال وجوده ، وهي مع ذلك لا تنال الكمال إلا بنوعيته ، وأما الأفراد والأشخاص فكثير منها تبطل دون البلوغ إلى الكمال ، وتفسد في طريق الاستكمال بعمل العلل والأسباب المخالفة لأنها محفوفة بها ولا بد لها من العمل فيها جرياً على مقتضى عليتها وسببيتها .

ولو فرض شيء من هذه الأنواع غير متأثر من شيء من العوامل المخالفة كالنبات مثلاً غير متأثر من حرارة وبرودة ونور وظلمة ورطوبة ويبوسة والسمومات والمواد الأرضية المنافية لتركيبه كان في هذا الفرض إبطال تركيبه الخاص أولاً ، وإبطال العلل والأسباب ثانياً ، وفيه إبطال نظام الكون فافهم ذلك .

ولا ضير في بطلان مساعي بعض الأفراد أو التركيبات إذا أدى ذلك إلى فوز بعض آخر بالكمال والغاية الشريفة المقصودة التي هي

كمال النوع وغايته فإن الخلقة المادية لا تسع أزيد من ذلك ، وصرف الكثير من المادة الخسيسة التي لا قيمة لها في تحصيل القليل من الجوهر الشريف العالي استرباح حقيقي بلا تبذير أو جزاف .

فالعلة الموجبة لوجود النوع الإنساني لا تريد بفعلها إلا الإنسان الكامل السائر إلى أوج السعادة في دنياه وآخرته إلا أن الإنسان لا يوجد إلا بتركيب مادي ، وهذا التركيب لا يوجد إلا إذا وقع تحت هذا النظام المادي المنبسط على هذه الأجزاء الموجودة في العالم المرتبطة بعضها ببعض المتفاعلة فيما بينها جميعاً بتأثيراتها وتأثراتها المختلفة ، ولازم ذلك سقوط بعض أفراد الإنسان دون الوصول إلى كمال الإنسانية فعلّة وجود الإنسان تزيد السعادة الانسانية أولاً وبالذات ، وأما سقوط بعض الأفراد فإنما هو مقصود ثانياً وبالعرض ليس بالقصد الاولي .

فخلقه تعالى الإنسان حكمته بلوغ الإنسان إلى غايته الكمالية ، وأما علمه بأن كثيرين من أفراده يكونون كفاراً مصيرهم إلى النار لا يوجب أن يختل مراده من خلقه النوع الإنساني ، ولا أنه يوجب أن يكون خلقه الإنسان الذي سيكون كافراً علة تامة لكفره أو لصيرورته إلى النار ، كيف ؟ وعلة كفره التامة بعد وجوده علل وعوامل خارجية كثيرة جداً ، وآخرها اختياره الذي لا يدع الفعل ينتسب إلا إليه فالعلة التي أوجدت وجوده لم توجد إلا جزء من أجزائه علة كفره ، وأما تعلق القضاء الإلهي بكفره فإنما تعلق به عن طريق الاختيار لا بأن يبطل اختياره وإرادته ويضطر إلى قبول الكفر كسقوط الحجر المرمي إلى فوق نحو الأرض بعامل الثقل اضطراراً .

وأما الشبهة الثانية فقوله : «ما الفائدة في التكليف مع أنه لا يعود إليه منه نفع ولا ضرر ؟» مغالطة من باب إسراء حكم الفاعل الناقص الفقير إلى الفاعل التام الغني في ذاته فحكم العقل بوجوب رجوع فائدة

من الفعـل إلى الفاعـل إنما هـو في الفـاعـل النـاقص المستكمـل بفعله المنتفع به دون الفاعل المفروض غنياً في ذاته .

فلا حكم من العقل أن كل فاعل حتى ما هو غني في ذاته لا جهـة نقص فيه حتى يستكمل بشيء فهو يمتنع صدور فعل عنه .

والتكليف وإن كان في نفسه أمراً وضعياً اعتبارياً لا يجري في متنه الأحكـام الحقيقيـة إلا أنـه في المكلفين واسـطة تـرتبط بهـا الكمـالات اللاحقة الحقيقية بسابقتها فهي وصلة بين حقيقتين:

تـوضيح ذلـك ملخصاً: أنّـا لسنا نشـك عن المشـاهـدة المتكـررة والبرهان أن مـا بين ايدينـا من الأنواع المـوجودة التي نسميهـا بما فـيهـا النظام الجاري عالماً مادياً واقعة تحت الحركة التي ترسم لكل منها بقـاء بحسب حاله ، ووجوداً ممتداً يبتـدي من حالـة النقص وينتهي إلى حالـة الكمـال ، وبين أجزاء هـذا الامتداد الـوجودي المسمى بـالبقاء ارتبـاطـاً وجودياً حقيقياً يؤدي به كل سابق الى لاحقه ، ويتوجه به النوع من منزلـه من هـاتيك المنـازل إلى ما يليـه بـل هـو قصـد من أول حين يشـرع في الحركة آخر مرحلة من شأن حركته أن ينتهي اليه .

فـالحبة من القمـح من أول مـا تنشق للنمـو قـاصـدة نحـو شجـرة الحنطة الكاملة نشوءً وعليها سنابلها ، والنطفة من الحيـوان متوجهـة الى فرد كامل من نوعه واجد لجميـع كمالاتـه النوعيـة وهكذا ، وليس النـوع الإنساني بمستثنى من هذه الكلية البتة فهو أيضاً من أول ما يأخذ فرد منه في التكون عازم نحو غايته متوجـه الى مرتبـة انسان كـامل واجـد لحقيقة سعـادتـه سـواء بلغ في مسيـر حيـاتـه الى ذلـك المبلغ أم حـالت دونــه الموانع .

والأنسـان لمـا اضـطر بحسب سنـخ وجــوده إلى أن يعيش عيشـة اجتماعية ، والعيشـة الاجتماعيـة إنما تتحقق تحت قـوانين وسنن جاريـة

بين أفراد المجتمع وهي عقائد وأحكام وضعية اعتبارية ـ التكاليف الدينية أو غير الدينية ـ تتكون بالعمل بها في الإنسان عقائد وأخلاق وملكات هي الملاك في سعادة الإنسان في دنياه وكذا في آخرته وهي لوازم الأعمال المسماة بالثواب والعقاب .

فالتكليف يستبطن سيراً تدريجياً للإنسان بحسب حالاته وملكاته النفسانية نحو كماله وسعادته يستكمل بطيّ هذا الطريق والعمل بما فيه طوراً بعد طور حتى ينتهي إلى ما هو خير له وأبقى ، ويخيب مسعاه إن لم يعمل به كالفرد من سائر الأنواع الذي يسير نحو كماله فينتهي إليه إن ساعدته موافقة الأسباب ، ويفسد في مسيره نحو الكمال إن خذلته ومنعته .

فقول القائل «وما الفائدة في التكليف ؟» كقوله : ما الفائدة في تغذي النبات ؟ أو ما الفائدة في تناسل الحيوان من غير نفع عائد ؟ .

وأما قوله : «وكل ما يعود إلى المكلفين فهو قادر على تحصيله لهم من غير واسطة التكليف» مغالطة أُخرى لما عرفت أن التكليف في الإنسان أو أيّ موجود سواه يجري في حقه التكليف واقع في طريق السعادة متوسط بين كماله ونقصه في وجوده الذي إنما يتم ويكمل له بالتدريج ، فإن كان المراد بتحصيل ما يعود من التكليف إلى المكلفين من غير واسطة التكليف تعيين طريق آخر لهم بدلاً من طريق التكليف ووضع ذاك الطريق موضع هذا الطريق وحال الطريقين في طريقيّتهما واحد عاد السؤال في الثاني كالأول : لِمَ عين هذا الطريق وهو قادر على تحصيل ما يعود منه إليهم بغيره ؟ والجواب أن العلل والأسباب التي تجمعت على الإنسان مثلاً على ما نجدها تقتضي أن يكون مستكملاً بالعمل بتكاليف مصلحة لباطنه مطهرة لسره من طريق العادة .

وإن كان المراد بتحصيله من غير واسطة التكليف تحصيله لهم من

غير واسطة أصلاً وإفاضة جميع مراحل الكمال ومراتب السعادة لهم في أول وجودهم من غير تدريج بسلوك طريق فلازمه بطلان الحركات الوجودية وانتفاء المادة والقوة وجميع شؤون الإمكان والموجود المخلوق الذي هذا شأنه مجرد في بدء وجوده تام كامل سعيد في أصل نشأته ، وليس هو الإنسان المخلوق من الأرض الناقص أولاً المستكمل تدريجاً ففي الفرض خلف .

وأما الشبهة الثالثة فقوله «هب إنه كلفني بمعرفته وطاعته فلماذا كلفني بالسجود لآدم ؟» فجوابه ظاهر فإن هذا التكليف يتم بالإيتمار به صفة العبودية لله سبحانه ، ويظهر بالتمرد عنه صفة الاستكبار ففيه على أي حال تكميل من الله واستكمال من إبليس إما في جانب السعادة وإما في جانب الشقاوة ، وقد اختار الثاني .

على أن في تكليفه وتكليف الملائكة بالسجدة تعييناً للخط الذي خط لآدم فإن الصراط المستقيم الذي قدر لآدم وذريته أن يسلكوه لا يتم أمره إلا بمسدد معين يدعو الإنسان إلى هداه وهو الملائكة ، وعدو مضل يدعوه إلى الانحراف عنه والغواية فيه وهو إبليس وجنوده كما عرفت فيما تقدم من الكلام .

وأما الشبهة الرابعة: فقوله «لماذا لعنني وأوجب عقابي بعد المعصية ولا فائدة له فيه ؟ الخ .» جوابه أن اللعن والعقاب أعني ما يشتملان عليه من الحقيقة من لوازم الاستكبار على الله الذي هو الأصل المولد لكل معصية ، وليس الفعل الإلهي مما يجر إليه نفعاً أو فائدة حتى يمتنع فيما لا نفع فيه يعود إليه كما تقدمت الإشارة إليه .

وليس قوله هذا إلا كقول من يقول فيمن استقى سماً وشربه فهلك به: لِمَ لم يجعله الله شفاءً وليس له في إماتته به نفع وله فيه أعظم الضرر ؟ هلا جعله رزقاً طيباً للمسموم يرفع عطشه وينمو به بدنه ؟ فهذا

كله من الجهل بمواقع العلل والأسباب التي أثبتها الله في عالم الصنع والإيجاد فكل حادث من حوادث الكون يرتبط إلى علل وعوامل خاصة من غير تخلف واختلاف قانوناً كلياً .

فالمعصية إنما تستتبع العقاب على النفس المتقذرة بها إلا أن تتطهر بشفاعة أو توبة أو حسنة تستدعي المغفرة ، وإبطال العقاب من غير وجود شيء من أسبابه هدم لقانون العلية العام ، وفي انهدامه انهدام كل شيء .

وأما الشبهة الخامسة: أعني قوله «إنه لما فعل ذلك لم سلطني على أولاده ومكنني من إغوائهم وإضلالهم ؟» فقد ظهر جوابه مما تقدم فإن الهدى والحق العملي والطاعة ويمثالها إنما تتحقق مع تحقق الضلال والباطل والمعصية وأمثالها ، والدعوة إلى الحق إنما تتم إذا كان هناك دعوة إلى باطل ، والصراط المستقيم إنما يكون صراطاً لو كان هناك سبل غير مستقيمة تسلك بسالكها إلى غاية غير غايته .

فمن الضروري أن يكون هناك داع إلى الباطل يهدي إلى عذاب السعير ما دامت النشأة الإنسانية قائمة على ساقها ، والإنسانية محفوظة ببقائها النوعي بتعاقب أفرادها فوجود إبليس من خدم النوع الانساني ، ولم يمكنه الله منهم ولا سلّطه عليهم إلا بمقدار الدعوة كما صرح[1] به القرآن الكريم وحكاه[2] عنه نفسه فيما يخاطب به الناس يوم القيامة .

وأما الشبهة السادسة: فأما قوله «لما استمهلته المدة الطويلة في ذلك فلِمَ أمهلني ؟» فقد ظهر جوابه مما تقدم آنفاً .

---

(١) قوله تعالى: ﴿ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين﴾ الحجر: ٤٢ وقوله: ﴿يدعوهم الى عذاب السعير﴾ لقمان: ٢١ .

(٢) قوله ﴿وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم﴾ ابراهيم: ٢٢ .

وأما قوله: «ومعلوم أن العالم لو كان خالياً من الشر لكان ذلك خيراً» فقد عرفت أن معنى كون العالم خالياً من الشر مأموناً من الفساد كونه مجرداً غير مادي ، ولا معنى محصّل لعالم مادي يوجد فيه الفعل من غير قوة والخير من غير شر والنفع من غير ضر والثبات من غير تغير والطاعة من غير معصية والثواب من غير عقاب .

وأما ما ذكره من جوابه تعالى عن شبهات إبليس بقوله: «يا إبليس أنت ما عرفتني ولو عرفتني لعلمت أنه لا اعتراض عليّ في شيء من أفعالي فإني أنا الله الذي لا إله إلا أنا لا أُسأل عما أفعل» فجواب يوافق ما في التنزيل الكريم ، قال تعالى: **﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾** الأنبياء: ٢٣ .

وظاهر المنقول من قوله تعالى أنه جواب إجمالي عن شبهاته لعنه الله لا جواب تفصيلي عن كل واحد واحد ، ومحصّله: أن هذه الشبهات جميعاً سؤال واعتراض عليه تعالى: ولا يتوجه إليه اعتراض لأنه الله لا إله إلا هو لا يسأل عما يفعل .

وظاهر قوله تعالى أن قوله «لا يسأل» متفرع على قوله: «فإني» الخ . فمفاد الكلام أن الله تعالى لما كان بإنّيته الثابتة بذاته الغنية لذاته هو الإله المبدىء المعيد الذي يبتدىء منه كل شيء وينتهي إليه كل شيء فلا يتعلق في فعل يفعله بسبب فاعلي آخر دونه ، ولا يحكم عليه سبب غائي آخر يبعثه نحو الفعل بل هو الفاعل فوق كل فاعل ، والغاية وراء كل غاية فكل فاعل يفعل بقوة فيه وإن القوة لله جميعاً ، وكل غاية إنما تقصد وتطلب لكمال ما فيه وخير ما عنده وبيده الخير كله .

ويتفرع عليه أنه تعالى لا يسأل في فعله عن السبب فإن سبب الفعل إما فاعل وإما غاية وهو فاعل كل فاعل وغاية كل غاية ، وأما غيره تعالى فلما كان ما عنده من قوة الفعل موهوباً له من عند الله ، وما

يكتسبه من جهة الخير والمصلحة بافاضة منه تعالى بتسبيب الأسباب وتنظيم العوامل والشرائط فإنه مسؤول عن فعله لِمَ فعله ؟ وأكثر ما يسأل عنه إنما هو الغاية وجهة الخير والمصلحة ، وخاصة في الأفعال التي يجري فيه الحسن والقبح والمدح والذم من الأفعال الاجتماعية في ظرف الاجتماع فإنها المتكئة على مصالحه ، فهذا بيان تام يتوافق فيه البرهان والوحي .

وأما المتكلمون فإنهم بما لهم من الإختلاف العميق في مسألة : أن أفعال الله هل تعلل بالأغراض ؟ وما يرتبط بها من المسائل اختلفوا في تفسير أن الله لا يسأل عن فعله فالأشاعرة لتجويزهم الارادة الجزافية واستناد الشرور والقبائح إليه تعالى ذكروا أن له أن يفعل ما يشاء من غير لزوم أن يشتمل فعله على غرض فتنطبق عليه مصلحة محسّنة وليس للعقل أن يحكم عليه كما يحكم على غيره بوجوب اشتمال فعله على غرض وهو ترتب مصلحة محسنة على الفعل .

والمعتزلة يحيلون الفعل غير المشتمل على غرض وغاية لاستلزامه اللغو والجزاف المنفي عنه تعالى فيفسرون عدم كونه تعالى مسؤولاً في فعله بأنه حكيم والحكيم هو الذي يعطي كل ذي حق حقه فلا يفعل قبيحاً ولا لغواً ولا جزافاً ، والذي يسأل عن فعله هو من يمكن في حقه إتيان القبيح واللغو والجزاف فهو تعالى غير مسؤول عما يفعل وهم يسألون .

والبحث طويل الذيل وقد تعارك فيه أُلوف الباحثين من الطائفتين ومن وافقهم من غيرهم قروناً متمادية[1] .

---

(١) تفسير الميزان ج ٨ ، ص ٤٤ ـ ٥٣ .

معنى كحل ابليس ولعوقه وسعوطه

عن الصدوق عن أبيه ـ قال: حدَّثنا سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمّد، عن إبن فضّال رفعه إلى أبي جعفر عليه السلام قال: قال صلى الله عليه وآله: «إن لإبليس كحلاً ولعوقاً وسعوطاً فكحله النعاس. ولعوقه[1] الكذب، وسعوطه[2] الكبر»[3].

قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن لإبليس لعنه الله كحلاً وسفوفاً ولعوقاً فامّا كحله فالنّوم، وامّا سفوفه فالغضب، وامّا لعوقه فالكذب[4].

وعن المحاسن، عن الإمام الرضا عن آبائه عليهم السلام، عن علي عليه السلام في حديث: فأما كحله فالنوم، وأما سفوفه فالغضب، وأما لعوقه فالكذب[5].

---

(١) اللعوق: ما يلعق، أي يلحس ويتناول بالإصبع أو اللسان.
(٢) السعوط: الدواء يصب في الأنف.
(٣) معاني الأخبار، ص ١٣٨.
(٤) سفينة البحار ج ١، ص ٩٨.
(٥) تفسير الميزان، ج ٨ ص ٦٤.

مناظرة ابليس مع الانبياء (ع)

بـالإسنـاد عن الصـدوق ، عن أبيـه ، عن محمّـد العطّار ، عن الحسين بن الحسن بن أبـان ، عن محمّـد بن أُورمـة ، عن مصعب بن يزيد ، عمن ذكـره ، عن أبي عبد الله عليـه السلام قـال: جاء نـوح عليه السلام إلى الحمار ليدخله السفينة فامتنع عليـه ، وكان إبليس ين أرجـل الحمار فقال: يا شيطان أدخُل ، فدخـل الحمار ودخـل الشيطان ، فقـال إبليس: أُعلِّمـك خصلتين ، فقال نـوح عليه السـلام: لا حـاجـة لي في كلامك ، فقـال إبليس: إيَّاك والحـرص فإنّـه أخرج أبـويك من الجنّـة ، وإيّاك والحسد فإنه أخـرجني من الجنّة ، فـأوحى الله: إقبلهما وإن كـان ملعوناً[1] .

بـالاسنـاد عن الصـدوق ، عن عليّ بن أحمـد بن مـوسى ، عن محمّـد بن جعفـر الأسـديّ ، عن سهـل بن زيـاد ، عن عبـد العـظيم الحسنيّ ، عن عليّ بن محمّد العسكريّ عليـه السلام قـال: جاء إبليس إلى نوح عليه السلام فقال: إنَّ لك عندي يداً عظيمة فانتصحني[2] فـإنّي لا أخونك ، فتأثّم[3] نوح بكلامه ومسـاءلته ، فـأوحى الله إليه: أن كلّمـه

(١) بحار الأنوار ، ج ٦ ، باب ذكر إبليس وقصصه ، ص ٢٥٠ .
(٢) الإنتصاح: قبول النصيحة .
(٣) التأثم: التحرج والإمتناع مخافة الإثم .

وسله فإنّي سأنطقه بحجّة عليه ، فقال نوح عليه السلام: تكلّم ، فقال إبليس: إذا وجدنا ابن آدم شحيحاً أو حريصاً أو حسوداً أو جبّاراً أو عجولاً تلقفناه تلقف[1] الكرة ، فإن اجتمعت لنا هذه الأخلاق سميناه شيطانا مريداً ، فقال نوح عليه السلام: ما اليد العظيمة التي صنعت ؟ قال: إنّك دعوت الله على أهل الأرض فألحقتهم في ساعة بالنار ، فصرت فارغاً ، ولولا دعوتك لشغلت بهم دهراً طويلاً[2] .

الصّدوق باسناده إلى ابن عبّاس قال: قال إبليس لنوح عليه السلام: لك عندي يدٌ ، سأعلّمك خصالاً ، قال نوح: وما يدي عندك ؟ قال: دعوتك على قومك حتّى أهلكهم الله جميعاً ، فإيّاك والكبر ، وإيّاك والحرص ، وإيّاك والحسد ، فإنّ الكبر هو الذي حملني على أن تركت السجود لآدم ، فأكفرني وجعلني شيطاناً رجيماً ، وإيّاك والحرص ، فإن آدم أُبيح له الجنّة ونهي عن شجرة واحدة ، فحمله الحرص على أن أكل منها ، وإيّاك والحسد ، فإنّ ابن آدم حسد أخاه فقتله ، فقال نوح عليه السلام: فأخبرني متى تكون أقدر على ابن آدم ؟ قال: عند الغضب[3] .

بالإسناد إلى الصّدوق ، عن أبيه ، عن سعد ، عن أحمد بن محمّد ، عمّن ذكره ، عن درست ، عمّن ذكره عنهم عليهم السلام قال: بينا موسى جالس إذ أقبل إبليس وعليه برنس فوضعه ودنا من موسى وسلّم ، فقال له موسى: من أنت ؟ قال: إبليس ، قال: لاقرّب الله دارك ، لماذا البرنس ؟ قال: اختطفت به قلوب بني آدم ، فقال له موسى عليه السلام: أخبرني بالذنب الذي إذا أذنبه ابن آدم

---

(١) التلقف: الأخذ بسرعة .

(٢) بحار الأنوار ج ٦٠ ، باب ذكر إبليس وقصصه ، ص ٢٥٠ .

(٣) بحار الأنوار ، ج ٦٠ ، باب ذكر إبليس وقصصه ص ٢٥١ .

استحوذت[1]عليه ، قال: ذلك إذا أعجبته نفسه واستكثر عمله وصغر في نفسه ذنبه ، وقال: يا موسى لا تخل بامرأة لا تحلّ لك فانّه لا يخلو رجل بامرأة لا تحلّ له إلاّ كنت صاحبه دون أصحابي ، وإيّاك أن تعاهد الله عهداً ، فإنّه ما عاهد الله أحد إلاّ كنت صاحبه دون أصحابي حتّى أحول بينه وبين الوفاء به ، وإذا هممت بصدقة فأمضها ، فإذا همَّ العبد بصدقة كنت صاحبه دون أصحابي حتّى أحول بينه وبينها[2] .

بالإسناد إلى الصدوق بإسناده عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن ابن فضّال ، عن عليّ بن عتبة ، عن بريد القصرانيّ قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: صعد عيسى عليه السلام على جبل بالشام يقال له: أريحا ، فأتاه إبليس في صورة ملك فلسطين فقال له: يا روح الله أحييت الموتى وأبرأت الأكمه والأبرص ، فاطرح نفسك عن الجبل فقال عليه السلام: إنّ ذلك أُذِن لي فيه ، وإنّ هذا لم يؤذن لي فيه[3] .

وعن الصّدوق أيضاً عن محمّد بن الحسن بن الوليد ، عن الصفّار ، عن محمّد بن خالد ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم ، عن الصادق عليه السلام قال: جاء إبليس إلى عيسى فقال: أليس تزعم أنّك تحيي الموتى ؟ قال عيسى: بلى ، قال إبليس: فاطرح نفسك من فوق الحائط ، فقال عيسى عليه السلام: ويلك إنّ العبد لا يجرّب ربّه ، وقال إبليس: يا عيسى هل يقدر ربك على أن يدخل الأرض في بيضة والبيضة كهيئتها ؟ فقال: إنّ الله تعالى عزّ وعلا لا يوصف بالعجز ، والذي قلت لا يكون[4] .

---

(١) استحوذ عليه: غلبه واستولى عليه .
(٢) بحار الأنوار ، ج ٦٠ ، باب ذكر إبليس وقصصه ، ص ٢٥٢ .
(٣) المصدر نفسه .
(٤) المصدر نفسه .

وفي مجالس ابن الشيخ عن الرضا عن آبائه عليهم السلام: أن إبليس كان يأتي الأنبياء من لدن آدم إلى أن بعث الله المسيح يتحدث عندهم ويسألهم، ولم يكن بأحد منهم أشد أُنساً منه بيحيى بن زكريا فقال له يحيى: يا أبا مرة إن لي إليك حاجة فقال: أنت أعظم قدراً من أن أردّك بمسألة فاسألني ما شئت فإني غير مخلفك في أمر تريده، فقال يحيى: يا أبا مرة أُحب أن تعرض عليَّ مصائدك وفخوخك التي تصطاد بها بني آدم؛ فقال له إبليس: حباً وكرامة وواعده لغد.

فلما اصبح يحيى قعد في بيته ينتظر الوعد، وأغلق عليه الباب إغلاقاً؛ فما شعر حتى ساواه من خوخة كانت في بيته فإذا وجهه صورة وجه القرد، وجسده على صورة الخنزير، وإذا عيناه مشقوقتان طولاً، وإذا أسنانه وفمه مشقوقات طولاً عظماً واحداً بلا ذقن ولا لحية، وله أربعة أيدٍ يدان في صدره ويدان في منكبه، وإذا عواقيبه قوادمه وأصابعه خلفه وعليه قباء وقد شد وسطه بمنطقة فيها خيوط معلقة بين أحمر وأصفر وأخضر وجميع الألوان، وإذا بيده جرس عظيم وعلى رأسه بيضة، وإذا في البيضة حديدة معلقة شبيهة بالكلّاب.

فلما تأمله يحيى قال: ما هذه المنطقة التي في وسطك؟ فقال: هذه المجوسية أنا الذي سننتها وزينتها لهم. فقال له: ما هذه الخطوط الألوان؟ فقال: هذه جميع أصناع النساء لا تزال المرأة تصنع الصنيع حتى يقع مع لونها فأفتّن الناس بها فقال له: فما هذا الجرس الذي بيدك؟ قال: هذا مجمع كل لذة من طنبور وبربط ومعزفة وطبل وناي وصرناي، وإن القوم ليجلسن على شرابهم فلا يستلذونه فأحرك الجرس فيما بينهم فإذا سمعوه استخف بهم الطرب فمن بين من يرقص، ومن بين من يفرقع أصابعه، ومن بين من يشق ثيابه.

فقال له: وأي الأشياء أقر لعينك؟ قال: النساء، هن فخوخي

ومصائدي فإذا اجتمعت إلى دعوات الصالحين ولعناتهم صرت إلى النساء فطابت نفسي بهن فقال: له يحيى: فما هذه البيضة على رأسك ؟ قال: بها أتوقى دعوة المؤمنين . قال: فما هذه الحديدة التي أرى فيها ؟ قال: بهذه أقلب قلوب الصالحين . قال يحيى: فهل ظفرت بي ساعة قط ؟ قال: لا ، ولكن فيك خصلة تعجبني . قال يحيى: فما هي ؟ قال: انت رجل أكول فإذا أفطرت أكلت وشبعت فيمنعك ذلك من بعض صلاتك وقيامك بالليل . قال يحيى: فإني أعطي الله عهدا أن لا أشبع من الطعام حتى ألقاه. قال له ابليس : وانا أعطي الله عهداً أن لا أنصح مسلما حتى ألقاه ، ثم خرج فما عاد إليه بعد ذلك[١] .

---

(١) تفسير الميزان ، ج ٨ ، ص ٦٥ .

مهبط ابليس

اعْلَمْ أَنَّ البَصْــرَةَ مَهْبِطُ إبْلِيسَ ومَغْـرِسُ الْفِتَن ، فحــادِثْ أهلهــا بالإحسانِ إليهم ، واحْلُلْ عُقْدَةَ الخَوْفِ عن قلُوبِهِم[1] .

(١) نهـج البلاغـة ، ج ٣ ، الكتاب ١٨ من كتـاب لأمير المؤمنين عليـه السلام الى عبد الله بن عباس عامله على البصرة .

حوار ابليس لفرعون في الحمام

يـروى ان إبليس تصـور لفـرعـون في صـورة الإنس في مصـر في الحمام فأنكرهُ فرعـون ، فقال لـهُ إبليس: ويحـك أمـا تعرفني ؟ فقـال: لا . قال: فكيف وأنت خلقتني ؟ ألست القائل أنا ربكم الأعلى؟[1] .

(١) دائرة المعارف للبستاني : ١/ ٣٣٩ .

ماهية سجود الملائكة وابليس لآدم(ع)

يقول الله تعالى لنبيه (ص): يا محمد واذكر حين قال الله تعالى: «الملائكة اسجدوا لآدم» أي أمرهم بالسجود له، وانهم سجدوا له بأجمعهم إلا إبليس وقد بينا ـ فيما تقدم ـ أن أمر الله تعالى للملائكة بالسجود لآدم يدل على تفضيله عليهم، وإن كان السجود لله تعالى لا لآدم لأن السجود عبادة، لا يجوز أن يفعل إلا لله، فأما المخلوقات فلا تستحق شيئاً من العبادة بحال، لأن العبادة تستحق بأصول النعم وبقدر من النعم لا يوازيها نعمة منعم.

وقال قوم: ان سجود الملائكة لآدم كان كما يسجد إلى جهة الكعبة ـ وهو قول الجبائي ـ والصحيح الأول، لأن التعظيم الذي هو في أعلى المراتب حاصل لله لا لآدم باسجاد الملائكة له. ولو لم يكن الأمر على ما قلناه من أن في ذلك تفضيلاً لآدم عليهم، لما كان لامتناع إبليس من السجود له وجه، ولما كان لقوله **﴿أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾**[1] وجه. فلما احتج إبليس بأنه أفضل من آدم ـ وإن أخطأ في الاحتجاج ـ علمنا أن موضوع الأمر بالسجود لآدم على جهة

(١) سورة الاعراف، الآيـة: ١٢ .

التفضيل ، وإلا كان يقول الله لابليس: إني ما فضلته على من أمرته بالسجود لآدم وإنما السجود لي ، وهو بمنزلة القبلة ، فلا ينبغي أن تأنف من ذلك . وقد بينا أن الظاهر ـ في روايات أصحابنا ـ أن ابليس كان من جملة الملائكة ، وهو المشهور ـ في قول ابن عباس ـ وذكره البلخي ـ فعلى هذا يكون استثناء إبليس من جملة الملائكة استثناء متصلاً . ومن قال: إن ابليس لم يكن من جملة الملائكة قال: هو استثناء منقطع ، وانما جاز ذلك ، لأنه كان مأموراً ايضاً بالسجود له ، فاستثني على المعنى دون اللفظ ، كما يقال: خرج أصحاب الأمير إلا الأمير ، وكما قال عنتر بن دجاجة:

من كان أشرك في تفرق مالح   فلبونه جربت معاً واغذت
الا كناشرة الذي ضيعتم   كالغصن في غلوائه المتثبت

والمعنى لكن هذا كناشرة . وتقول: قام الاشراف للرئيس ، إلا العامي الذي لا يلتفت اليه . قال الرماني: وإذا أمر الملائكة بالسجود اقتضى أن من دونهم داخل معهم ، كما أنه إذا أمر الكبراء بالقيام للأمير اقتضى أن الصغار القدر ، قد دخلوا معهم .

في تغطية الأواني واغلاق باب البيت

عن العلل: باسناده عن جابر الانصاريّ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أغلقوا أبوابكم وخمّروا آنيتكم وأوكئوا أسقيتكم، فانّ الشيطان لا يكشف غطاء ولا يحلّ وكاء[1] .

---

(١) بحار الانوار ج ٦٠ ، باب ذكر ابليس وقصصه ص: ٢٠٤ .

الفهرس

هذا الكتاب

إنه سفر الى الماضي عبر هذه الصفحات حيث نرحل بأذكارنا مع الدكتور المؤلف لنرجع الى اصل خلقة ابليس وكيفية وجوده في السماء مع الملائكة ورفضه لأمر السجود.

ثم علاقته بآدم (ع) وهبوطه الى الارض.

وبعدها كيفية تسلطه على الانبياء عليهم السلام ومحاورته مع بعضهم وظهوره عليهم.

والمرجع هو القرآن والاحاديث الشريفة حيث نصل الى الاعمال الاساسية التي تفرح قلب ابليس والاعمال التي تنهك قواه وربما لا يستطيع ان يسيطر على البشر.

واخيراً تساؤلات هامة يطرحها ابليس ويعترض بها على الله عز وجل، عندها نعود مع المؤلف الى ميزان العلامة الطباطبائي (قده) لنأخذ من علومه ونتعرف على الجواب الشافي.

الناشر

دار المجتبى
للطباعة والنشر والتوزيع
حارة حريك - بيروت - لبنان - فاكس: [illegible]